

بسم الله الرحمن الرحيم

وزارت علوم، تحقیقات و فن آوری

دانشگاه پیام نور

گروه زبان و ادبیات عربی

نصوص من النظم و النثر من سقوط

بغداد إلى العصر الحديث

الإعداد: الدكتور محسن سيفي

الدكتور مصطفى جوانرودي

## أعلام الشعراء في عصر الإنحطاط:

١. شرف الدين الانصاري (٥٨٦-٦٦٢ هـ)

٢. التلعفري (٥٩٣-٦٧٥ هـ)

٣. البوصيري (٦٠٨-٦٩٥ هـ.ق)

٤. الشهاب محمود (٦٤٤-٧٢٥ هـ)

٥. الشاب الظريف (٦٦١ هـ - ٦٨٨ هـ)

٦. صفي الدين الحلبي (٦٧٧ - ٧٥٠ هـ)

٧. ابن نباته (٦٨٦-٧٦٧ هـ)

٨. ابن الوردي (٦٨٩ - ٧٤٩ هـ)

٩. بهاء الدين البهائي (ت ٨١٥ هـ)

١٠. عائشة الباعونية (٨٦٥ - ٩١١ هـ)

١١. ابن النقيب (١٠٤٨-١٠٨١ هـ)

## أعلام الكتاب في عصر الإنحطاط:

١. صلاح الدين الصفدي (٦٩٦ - ٧٦٤ هـ)

2. شهاب الدين بن فضل الله (٧٠٠ - ٧٤٩ هـ)

3. ابن بطوطة (٧٠٤-٧٧٩ هـ)

4. ابن خلدون (٧٣٢ - ٨٠٨ هـ)

5. القلقشندي (٧٥٦ - ٨٢١ هـ)

## ١. شرف الدين الانصاري (٥٨٦-٦٦٢ هـ)

هو عبد العزيز بن محمد بن خلف الدمشقي، شاعر من شعراء حماة . لقب بالصاحب ، و شيخ الشيوخ . ولد سنة ٥٨٦ هـ في حماة و سكنها و استكمل علومه فيها و سمع الحديث و تفقه و إتجه في الأدب فأتقنه.

" صحب والده فزار جميع بلاد الإسلامية من بغداد و الشام و القاهرة و بعلبك و... . تولى شرف الدين بعض المناسب و مدح الملك المنصور الأول و أصبح وزيره و شاعره . و بعد موت الملك المنصور أصبح وزير الملك المظفر الثاني و بعد موته أصبح من الأوصياء علي الحكم حتي بلغ المنصور الثاني سنّ الرشد و تربع علي عرش حماة ، فأصبح شرف الدين وزيره و مدبر شؤونه." ( جودت الركابي ، ص ١٥٤ )

كان الملك المنصور الثاني في مصر مع جنده و يطلب نجدة المظفر قطز الذي خرج علي الفور لمجابهة جيوش التتار التي قد إكتسحت أرض الشام بعد سقوط بغداد ، فكان الملك المنصور الثاني إلتقي بجيوشها في الوقعة الفاصلة بعين جالوت سنة ٦٩٥ هـ . فولّي التتار الإدبار و عاد الملك المنصور إلي ملكه في حماة فأقبل عليه شاعره شرف الدين مادحاً مهتئاً بقصيدة مطلعها :

رُعتَ العدي فَضَمَنْتَ ثُلَّ عروشها      و لقيتَها فأخذتَ فُلَّ جيوشها

طبع ديوان شعره مجمع اللغة العربية بدمشق . توفي سنة ٦٦٢ هـ / ١٢٦٤ م .

قال شرف الدين الأنصاري من قصيدة يمدح فيها الملك المنصور الثاني الأيوبي  
صاحب حماة الذي كان مع جنده إلى جانب المظفر قطز في معركة ( عين جالوت  
( سنة ٦٩٥ هـ: :

١. رُعْتَ العَدِي فَضَمِنْتَ ثَلَّ عُرُوشِهَا      وَ لَقِيَتْهَا فَأَخَذْتَ فَلَّ جِيُوشِهَا
٢. نَازَلْتَ أَمْلَاكَ التَّنَارِ فَأُنْزِلْتَ      عَن فَاحِلِهَا قَسْرًا وَ عَن إِكْدِيشِهَا
٣. فَعَرَا لِسيفِكَ فِي رِقَابِ كُفَاتِهَا      حَصْدُ الْمَنَاجِلِ فِي يَبِيسِ حَشِيشِهَا
٤. رَوَيْتَ أَكْبَادَ الْقَنَا بِدُمَائِهِمْ      لَمَّا أَطَالَ سِوَاكَ فِي تَعْطِيشِهَا
٥. أَقْدَمْتَ مُقْتَحِمًا عَلَي نُشَابِهَا      تَكْسُو الْجِيَادَ رِيَاشَهَا مِنْ رِيَشِهَا
٦. دَارَتْ رَحَى الْحَرْبِ الزَّبُونِ عَلَيْهِمْ      فَعْدَتْ رُؤُوسَهُمْ حُطَامَ جَرِيَشِهَا
٧. وَ طَوَيْتَ عَن مِصْرٍ فَسِيحَ مَرَاكِهَا      مَا بَيْنَ بَرَكْتِهَا وَ بَيْنَ عَرِيَشِهَا
٨. حَتَّى حَفِظْتَ عَلَي الْعِبَادِ بِلَادَهَا      مِنْ رُومِهَا الْأَقْصَى إِلَى أَحْبُوشِهَا
٩. فَرَشْتَ حِمَاةَ لَوِطَةٍ نَعْلِكَ خَدَّهَا      فَوَطِئْتَ عَيْنَ الشَّمْسِ مِنْ مَفْرُوشِهَا
١٠. وَ كَذَا الْمَعْرَةَ إِذْ مَلَكَتْ قِيَادَهَا      دَهَشَتْ سُرُورًا سَارَ فِي مَدْهُوشِهَا
١١. لَازَلْتَ تُنْعِشُ بَنُوَالِ فَقِيرِهَا      وَ تَنَالُ أَقْصَى الْأَجْرِ مِنْ مَنَعُوشِهَا

#### شرح الأبيات:

١. رُعْتَ العَدِي فَضَمِنْتَ ثَلَّ عُرُوشِهَا      وَ لَقِيَتْهَا فَأَخَذْتَ فَلَّ جِيُوشِهَا
- المفردات : رُعْتَ : أفزعتَ و أخفّتَ - العَدِي : مفردها : العدو - ثَلَّ العرش :  
خرّبَه و أذهب سلطانه - فَلَّ الجيش : هزمه و قَضَى عليه .

شرح البيت :أيها الملك الشجاع أنك انت الذي أفزعت الأعداء و التزمت أن  
تُخربَ عرشَ مُلكِها فحينما لقيتَ العدوَّ هزمتَ جيوشَه كُلَّها و أهلكتَ ما بقيتَ  
منها مهزومةً .

٢. نازلتَ أملاكَ التتارِ فانزِلتَ عَنْ فَحْلِها قسراً و عَنْ إكديشِها  
نازلتَ : قاتلتَ - الفحل : الذكر القويّ مِنْ كُلِّ حيوان - الإكديش : الفرس غير  
الأصيل قسراً : مُجبراً و مُرغماً ، مِنْ غير إرادته  
شرح البيت :هجمتَ علي مُلكِ التتار و قتلتَ فُرسَها فهؤلاء الفُرسان قد ترجّلوا  
من مراكِبهم الاصيله و غير الاصيله مُرغمين مُجبرين .

٣. فغرا لسيفك في رقاب كُماتها حَصْدُ المناجلِ في يَيْسِ حَشيشِها  
المفردات : الرقاب : مفردها : الرقبة - الكُماة : الفُرسان الكاملوا السلاح مفردها  
: الكميّ المناجل : مفردها : المنخل و هو آلةٌ لِحَصْدِ الزَّرْعِ أو العُشب - اليبس :  
اليابس

معني البيت : و سيفك يقطع رقاب الفُرسان الشجعان مِنْ الأعداءِ كَأَنَّهُ منجلٌ  
يحصد الحشيشَ اليابسَ حَصداً .

٤. رَوَيْتَ أَكْبَادَ القَنَا بدمائهم لَمَّا أَطَالَ سِوَاك في تعطيِشِها  
رَوَيْ : سَقَّى - القَنَا : الرماح

معني البيت :كانت رماحُ الجيوش عطشانةً إلي دماءِ الأعداءِ لَكِنَّكَ سَقَيْتَها بعد طول  
عَطَشِها مِنْ قَبْلِ غيرك .

٥. أَقْدَمَتْ مُقْتَحِمًا عَلَيَّ نُشَابَهَا      تكسو الجياد ريشها من ريشها

المفردات : أقدمت مقتحماً : دخلت بقوة و عنف - النشاب : مفردتها : نشابة و  
هي الرماح و السهام - الجياد : مفردتها : الجواد و هو النجيب من الخيل - الريش  
: مفردتها الريش و هو كسوة الطائر ، و يعني اللباس الفاخر أيضاً

يقول الشاعر: هاجمت علي العدو بالرماح العالية هجوماً عنيفاً و كسوت خيول  
الأعداء من ريش هذه السهام بحيث إختلط ريشها بها .

٦. دارت رَحِيَّ الحَرْبِ الزَّبُونِ عَلَيْهِمْ      فغدت رؤوسهم حُطَامَ جَرِيشِهَا

المفردات : رحي : أداة يُطْحَنُ بها ، و هي حَجَرَانِ مُسْتَدِيرَانِ يُوضَعُ أحدهما علي  
الآخر و يُدار الأعلي علي محور ثابت - الحرب الزبون : الحرب الطاحنة التي فيها  
صدام شديد - الجريش : كلُّ حَبٍّ طُحِنَ طَحْنًا غير ناعم

معني البيت : نشبت الحرب عليهم عنيفة فأصبحت رؤوس الأعداء تحت رحي  
الحرب حباً مسحوقاً .

٧. و طَوَيْتَ عَنْ مِصْرٍ فسيحَ مَراحِلِ      ما بين بركتها و بين عَرِيشِهَا

المفردات : طَوَيْ : ضَمَّ أو لَفَّ بعض الشيء علي بعضه - العريش : بناءٌ مؤلَّفٌ من  
عوارض من حديد أو خشب محمولة علي عواميد ، تعترشه النباتات المتسلقة .  
شرح البيت : أيها الملك الشجاع إنك قد ضمنت مملكة مصرَ جميعاً إلي ملكك و  
مناطقتها العامرة من بركها و أحواضها إلي أراضيها الخصبة ذات الاشجار و  
النباتات المتسلقة .

٨. حتي حَفِظْتَ علي العبادِ بلادَها مِن رومِها الأقصي إلي أُحبوشِها

المفردات : الأحبوش : بلاد الجيشة

معني البيت : و ائتكَ انت الذي حفظتَ البلادَ مِن هجومِ الأعداءِ الاجانب كالروم و  
الجيشة

٩. فرشتُ حمأةً لوطِءٍ نعلِكَ خدَّها فوطِئتُ عينَ الشمسِ مِن مفروشِها

المفردات : حمأة و عين الشمس : اسم مدينتان في سوريا - الوطاء : الدَّوس ، وضع  
القدم علي ...

يقول الشاعر أنَّ بلد سوريا مفروشة تحت قدميك فحمأة فرشتُ خدَّها و عين  
الشمس فرشت عينَها . صنعت بلاغي ستخدام در اين بيت وجود دارد . " ها "  
در مفروشها به عين در عين الشمس بر مي گردد .

١٠. و كذا المعرَّة إذ مَلَكْتَ قِياذَها دهشتُ سروراً سارَ في مدهوشِها

المفردات : المعرَّة : مدينة في سوريا - سار في : نشي نشوةً ، سَكِرَ

يقول الشاعر : و لما استوليت علي المعرَّة و مَلَكْتَ مفاتيحَ مُلكِها شَعَرَ ساكنوها  
بفرحٍ شديدٍ حتي النَّشوةُ .

١١. لازلتُ تُنْعِشُ بنوالِ فقيرِها و تَنالُ أقصي الأجرِ مِن منعوشِها

معني البيت : ائتكَ تُحيي الفقراءَ بِجودِكَ و كرمِكَ ، فلازلتُ تدوم عليه ، فاللهُ  
يعوِّضُكَ أَجراً عظيماً .

## ٢. التلعفري (٥٩٣-٦٧٥ هـ)

" هو شهاب الدين محمد بن يوسف التلعفري ، ولد بالموصل سنة ٥٩٣ هـ و توفي سنة ٦٧٥ هـ "١

نسب الي " تل اعفر " في الموصل بين سنجار و الموصل .

اتصل بالملك الاشرف موسي حاكم العراق لمدة ، بقي هناك شاعراً فطرد الي حلب فلجأ الي دمشق فحماة و كان مولعاً بلعب القمار الذي سبب طرده . فذهب الي الملك العزيز غياث الدين ابي المظفر لكن خرجة مرة اخري بذلك السبب و انطلق الي الشام . ذهب الي حماة في آخر حياته نادماً صاحبها الملك المنصور ، الي آخر عمره .

له ديوان شعر مطبوع و اكثر شعره الغزل و النسيب و المدح و الخمر و وصف الطبيعة و ايضاً الموشحات و المدح و الوصف. هو شاعر مطبوع وجداني ، مائلاً الي السهولة الشعرية . لكنه الاتجاه العام السائد آنذاك يتجلي في شعره ايضاً و يشاهد فيه ميولة الي استخدام الصناعات البديعية كالطباق و الاقتباس ... الا انه لم يخوض فيها و طبعه السليم ادي الي بُعده عن الاسراف في كل ذلك.من غزلياته :

- لو لا بروق بالعقيق تلوح                      تغدو علي عذباته و تروح  
مازاد قلبي لوعة كلا و لا                      ادمي خدودي دمعي المسفوح  
ويح الصبا ، حتام يذكرني الصبا                      منها نيم كالعبير يفوح . . .

فنشاهد في هذا الغزل ، غرارته للشعراء القدامي و الاساليب الجاهلية

---

- خفاجي ، محمد عبد المنعم ، ص ١٨٩



ومن خمرياته :

نهارى كله قلق و فكر      و ليلي كله ارق و ذكر  
تقسيمي الهوى كمداً و حزناً      فامرهما لحتفي مستمر  
فقم نخطب عروساً بنت كرم      لها الاموال و الالباب مهر

يقول التلعفري و قد هاجت الأشواق في قلبه حيناً إلى دمشق :

١. يهيجُ بالنيل بي شوقي إلى بردي      إني و من برده ظمآنُ لهفانُ
٢. اللهُ يا ورقُ في عاني الحشا و صب      صبُّ له من رُبَا جَيرونَ جيرانُ
٣. يقول و هو مصرٍ عند حاجرِها      ليس اللبانةُ إلا حيثُ لبنانُ
٤. تلك الجنان التي حيثُ التفتُ تري      قصرًا مشيداً به حورٌ و ولدانُ
٥. تدعوك فيها إلى اللذات أربعة      بيعُ الحياةِ بها ما فيه خسرانُ
٦. ظلُّ ظليلٌ و ماءٌ باردٌ غدقُ      و جوسقُ مشرفٌ عالٍ و بستانُ

شرح الأبيات:

١. يهيجُ بالنيل بي شوقي إلى بردي      إني و من برده ظمآنُ لهفانُ

المفردات: هاج:ثارَ ، تحرك بقوة - بردي : إسمُ نهرٍ في دمشق - ظمآن : عطشان -

لهفان : متلهّف مشتاق

يقول الشاعر و هو بمصر : إني برؤية النيل أتذكر نهر بردي في دمشق و يهيج عواطفني إليه كما أتعطش إلي مائه البارد و أشتاق إشتياقاً.

٢. الله يا ورق في عاني الحشا وصب صب له من ربا جيرون جيران

المفردات : الورق : الحمام – العاني : المريض المتعب – الحشا : ما إنضمت عليه الضلوع ، كل من الأعضاء الموجودة في تجاويف الجسم كالقلب و الطحال و الكبد و... – الوصب : الوجع و المرض – الصب : المحب و المشتاق – الربا : مفردُها الربية و هي التل – جيرون : يقصد دمشق

ينادي الشاعرُ الله مخاطباً الحمّامة و يقول : يا له من مرضٍ موجعٍ في أحشائي و حبٍّ شديدٍ إلي إحدي جاراتي الساكنة في دمشق فوق التلال و الأراضي الخصبة.

٣. يقول و هو مصرعند حاجرِها ليس اللبانة إلا حيث لبنان

المفردات : الحاجر : المانع ، الحاجز – اللبانة : الحاجة

يقول الشاعر في مصر و هي حاضرة بينه و بين مدينته الحبيبة إني لا أشعر بحاجةٍ إلا زيارة لبنان.

٤. تلك الجنان التي حيث التفت تري قصراً مشيداً به حور و ولدان

معني البيت : تلك الحدائق و البساتين التي حين تنظر إليها تري فيها قصوراً معمّرة و حصينة تعيش فيها حور الجنّة و ولدانها المخلدون

٥. تدعوك فيها إلي اللذات أربعة بيع الحياة بها ما فيه خسران

معني البيت: و في هذه الجنان تُناديك أربعة أشياء إلى التمتع باللذات و هذه الأربعة

تُعادل الحياة كلّها بحيث لا تخسر في مبادلتها بها

٦. ظلّ ظليلٌ و ماءٌ باردٌ غَدَقٌ و جوسقٌ مشرفٌ عالٍ و بستانٌ

المفردات: الظلّ : الفَيء - الظليل : دائم الظلّ ، وافر الظلّ - غَدَق : غزير - جَوْسَق

: القصر

معني البيت : هذه الاربعة عبارة عن الظلّ الوافر و الدائم للأشجار الموجودة و الماء البارد

الوافر الجاري تحت الأشجار و البساتين و الحدائق المثمرة و الأخير قصرٌ مشيدٌ عالٍ بين هذه

الأشجار.

### ٣. البوصيري (٦٠٨-٦٩٥ هـ.ق)

اشتهر شرف الدين محمد بن سعيد بن حماد الصنهاجي البوصيري بمدائحه النبوية، التي ذاعت شهرتها في

الآفاق، وتميزت بروحها العذبة وعاطفتها الصادقة، وروعة معانيها، وجمال تصويرها، ودقة ألفاظها،

وحسن سبكها، وبراعة نظمها؛ فكانت بحق مدرسة لشعراء المديح من بعده، ومثالا يحتذيه الشعراء

لينسجوا على منواله، ويسيروا على نهجه؛ فظهرت قصائد عديدة في فن المدائح النبوية، أمتعت عقل

ووجدان ملايين المسلمين على مرّ العصور، ولكنها كانت دائماً تشهد بريادة الإمام البوصيري وأستاذيته

لهذا الفن بلا منازع.

## الف) حياته

ولد البوصيري بقرية "دلاص" إحدى قرى بني سويف من صعيد مصر، في (أول شوال ٦٠٨ هـ = ٧ من مارس ١٢١٣ م) لأسرة ترجع جذورها إلى قبيلة "صنهاجة" إحدى قبائل البربر، التي استوطنت الصحراء جنوبي المغرب الأقصى، ونشأ بقرية "بوصير" القريبة من مسقط رأسه، ثم انتقل بعد ذلك إلى القاهرة حيث تلقى علوم العربية والأدب.

وقد تلقى البوصيري العلم منذ نعومة أظفاره؛ فحفظ القرآن [في طفولته، وتتلמד على عدد من أعلام عصره، كما تتلمذ عليه عدد كبير من العلماء المعروفين، منهم: أثير الدين محمد بن يوسف المعروف بأبو حيان الغرناطي، وفتح الدين أبو الفتح محمد بن محمد العمري الأندلسي الإشبيلي المصري، المعروف بابن سيد الناس... وغيرهما.

تُوفي الإمام البوصيري بالإسكندرية سنة (٦٩٥ هـ - ١٢٩٥ م) عن عمر بلغ ٨٧ عامًا.

## ب) أعمال البوصيري نثراً وشعراً

ترك البوصيري عدداً كبيراً من القصائد والأشعار ضمّها ديوانه الشعري الذي حققه "محمد سيد كيلاني"، وطُبع بالقاهرة سنة (١٣٧٤ هـ = ١٩٥٥ م)، وقصيدته الشهيرة البردة "الكواكب الدرية في مدح خير البرية"، والقصيدة "المضربة في مدح خير البرية"، والقصيدة "الخميرة"، وقصيدة "ذخر المعاد"، ولامية في الرد على اليهود والنصارى بعنوان: "المخرج والمردود على النصارى واليهود"، وقد نشرها الشيخ "أحمد

فهمني محمد" بالقاهرة سنة (١٣٧٢ هـ = ١٩٥٣ م)، وله أيضا "تهذيب الألفاظ العامية"، وقد طبع كذلك بالقاهرة.

## بردة البوصيري

عُني البوصيري بقراءة السيرة النبوية، ومعرفة دقائق أخبار النبي (صلى الله عليه وسلم) وجامع سيرته العطرة، وأفرغ طاقته وأوقف شعره وفنه على مدح النبي (صلى الله عليه وسلم)، تُعد قصيدته الشهيرة "الكواكب الدرية في مدح خير البرية"، والمعروفة باسم "البردة" من عيون الشعر العربي، ومن أروع قصائد المدائح النبوية، ودرة ديوان شعر المديح في الإسلام، الذي جادت به قرائح الشعراء على مرّ العصور، ومطلعها من أبرع مطالع القصائد العربية، وهي قصيدة طويلة تقع في ١٦٠ بيتا. يقول فيها:

أَمِنْ تَذَكَّرَ جِرَانَ بَذِي سَلَمٍ	مَزَجَتْ دَمْعًا جَرَى مِنْ مَقْلَةٍ بَدَمٍ
أَمْ هَبَّتِ الرِّيحُ مِنْ تَلْقَاءِ كَاطِمَةٍ	وَأَوْمَضَ الْبَرْقُ فِي الظُّلُمَاءِ مِنْ إِضْمٍ
فَمَا لِعَيْنِكَ إِنْ قُلْتَ اكْفَا هَمَّتَا	وَمَا لِقَلْبِكَ إِنْ قُلْتَ اسْتَفَقَ يَهُمُّ

وقد ظلت تلك القصيدة مصدر إلهام للشعراء على مرّ العصور، يحذون حذوها وينسجون على منوالها، وينهجون نهجها، ومن أبرز معارضات الشعراء عليها قصيدة أمير الشعراء أحمد شوقي "نهج البردة"، التي تقع في ١٩٠ بيتا، ومطلعها:

ريم على القاع بين البان والعلم أحل سفك دمي في الأشهر الحرم

### سبب نظم هذه القصيدة

يقول البوصيري عن سبب نظمه لهذه القصيدة: كنت قد نظمت قصائد في مدح رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، منها ما اقترحه عليّ الصاحب زين الدين يعقوب بن الزبير، ثم اتفق بعد ذلك أن داهمني الفالج (الشلل النصفي) فأبطل نصفي، ففكرت في عمل قصيدتي هذه فعملتها واستشفعت بها إلى الله تعالى في أن يعافيني، وكررت إنشادها، ودعوت، وتوسلت، ونمت فرأيت النبي صلى الله عليه وسلم فمسح على وجهي بيده المباركة، وألقى عليّ بردة، فانتبهت ووجدت فيّ هضة، فقممت وخرجت من بيتي، ولم أكن أعلمت بذلك أحداً، فلقيني بعض الفقراء فقال لي: أريد أن تعطيني القصيدة التي مدحت بها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقلت: أي قصائدي؟ فقال: التي أنشأتها في مرضك، وذكر أولها وقال: والله إني سمعتها البارحة وهي تنشد بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأعجبته وألقى على من أنشدتها بردة. فأعطيته إياها. وذكر الفقير ذلك وشاعت الرؤيا.

- ١- أَمِنْ تَذَكُّرٍ جِيرَانٍ بِذِي سَلَمٍ
- ٢- أَمْ هَبَّتِ الرِّيحُ مِنْ تَلْقَاءِ كَاطِمَةٍ
- ٣- فَمَا لِعَيْنِكَ إِنْ قُلْتَ: اكْفُفَا، هَمَّتَا
- ٤- أَيْحَسْبُ الصَّبُّ أَنَّ الْحَبَّ مِنْكُمْ
- ٥- لَوْ لَا الْهُوَى لَمْ تُثْرِقْ دَمْعًا عَلَى طَلَلٍ
- ٦- فَكَيْفَ تَنْكَرُ حَبًّا بَعْدَ مَا شَهِدْتَ
- ٧- وَ أَثْبَتَ الْوَجْدُ خَطِيئَةَ عِبْرَةٍ وَ ضَنْئِي
- ٨- نَعَمْ سَرَى طَيْفٌ مِنْ أَهْوَى فَأَرْقَنِي
- ٩- يَا لَأَتَمِّي فِي الْهُوَى الْعَذْرَى مَعْدَرَةً
- ١٠- مُحَضَّتِي النَّصَحَ لَكِنْ لَسْتُ أَسْمَعُهُ
- ١١- وَ النَّفْسُ كَالطِّفْلِ إِنْ تَمَلَّهْ شَبَّ عَلَى
- ١٢- فَاصْرِفْ هَوَاهَا وَ حَازِرْ أَنْ تَوَلِيَهُ
- ١٣- مُحَمَّدٌ سَيِّدُ الْكَوْنَيْنِ وَ الثَّقَلَيْنِ
- ١٤- نَبِينَا الْأَمْرُ النَّاهِي فَلَا أَحَدٌ
- ١٥- هُوَ الْحَبِيبُ الَّذِي تَرْجَى شِفَاعَتَهُ
- ١٦- دَعَا إِلَى اللَّهِ فَالْمُسْتَمْسِكُونَ بِهِ
- مَزَجْتُ دَمْعًا جَرِي مِنْ مَقْلَةٍ بِدَمٍ؟
- وَأَوْمَضَ الْبَرْقُ فِي الظُّلُمَاءِ مِنْ إِضْمٍ؟
- وَمَا لِقَلْبِكَ إِنْ قُلْتَ: اسْتَفِقْ، يَهُم؟
- مَا بَيْنَ مَنْسَجَمٍ مِنْهُ وَمُضْطَرَمٍ؟
- وَ لَا أَرَقْتَ لِذِكْرِ الْبَانِ وَ الْعِلْمِ
- بِهِ عَلَيْكَ عَدُولُ الدَّمْعِ وَ السَّقَمِ؟
- مِثْلَ الْبَهَارِ عَلَى خَدَّيْكَ وَ الْعَنَمِ
- وَ الْحَبِّ يَعْتَرِضُ اللَّذَاتِ بِالْأَلَمِ
- مَتْنِي إِلَيْكَ وَ لَوْ أَنْصَفْتَ لَمْ تَلَمْ
- إِنَّ الْحَبَّ عَنْ الْعُدَالِ فِي صَمِّ
- حَبِّ الرِّضَاعِ وَ إِنْ تَفْطَمَهُ يَنْفَطِمُ
- إِنَّ الْهُوَى مَا تَوَلَّى يَصُمُّ أَوْ يَصُمِّ
- مِنْ وَ الْفَرِيقَيْنِ مِنْ عَرَبٍ وَمِنْ عَجَمِ
- أَبْرٌ فِي قَوْلِ «لَا» مِنْهُ وَ لَا «نَعَمْ»
- لِكُلِّ هَوْلٍ مِنَ الْأَهْوَالِ مُقْتَحَمِ
- مُسْتَمْسِكُونَ بِحَبْلِ غَيْرِ مَنْفَصِمِ

- ١٧- فاق النبين في خلقٍ و في خُلُقٍ و لم يدا نُوه في علمٍ و لا كرم  
 ١٨- فَمَبْلُغُ العلم فيه أَنَّهُ بشرٌ وَأَنَّهُ خير خلق الله كُلِّهِم  
 ١٩- و كلُّ آي أتى الرسل الكرام بها  
 ٢٠- فَإِنَّهُ شمس فضلٍ هم كواكبها  
 ٢١- يا خير من يَمِّم العافون ساحتَهُ  
 ٢٢- سریت من حرم ليلاً إلى حرمٍ  
 ٢٣- و بِتَّ ترقى إلى أن نلتَ منزلةً  
 ٢٤- بُشِّرَى لنا معشر الإسلام إِنَّ لنا  
 و لم يدا نُوه في علمٍ و لا كرم  
 وَأَنَّهُ خير خلق الله كُلِّهِم  
 فَإِنَّمَا اتَّصَلَتْ من نوره بِهِم  
 يظهرون أنوارها للناس في الظلم  
 سعيًا و فوق متون الأئنيقِ الرُّسم  
 كما سرى البدر في داجٍ مِنَ الظلم  
 مِنْ قاب قوسين لم تدرك و لم ترم  
 مِنْ العناية ركنًا غير منهدم

شرح الأبيات:

- ١- أَمِنْ تَذَكُّرٍ جِيرَانٍ بِذِي سلم مزجتُ دمعاً جري من مقلةٍ بدم؟

المفردات: ذو سلم: مكان في الحجاز قرب المدينة المنورة.

المعنى: عندمات تذكرت جيراناً سكنوا الحجاز - وأنت تعرفهم- بكيت عليهم دماً ممزوجاً بالدمع؟

- ٢- أَمْ هَبَّتْ الرِّيحُ من تلقاء كاظمةٍ وَأَوْمَضَ البرقُ في الظلماء من إضم؟

المفردات: كاظمة و إضم: موضعان قرب المدينة المنورة.

المعنى: أَمْ أَتَىكَ تبكي دمعاً ودماً لأن الرِّيح هبت من قبل كاظمة، و لمع البرق ليلاً من خلف إضم؟



٣- فَمَا لِعَيْنِيكَ إِنْ قُلْتَ: اكْفُفَا، هَمَّتَا وَمَا لِقَلْبِكَ إِنْ قُلْتَ: اسْتَفِقْ، يَهُمُّ؟

المفردات: همتا: سالتا/ يهيم: يحب حباً شديداً.

المعنى: فلماذا كلما أمرت عينيك بالتوقف تابعتا سكب الدموع، و لماذا كلما طلبت من قلبك أن

يصحو عاد إلى هيامه؟

٤- أَيَحْسَبُ الصَّبُّ أَنَّ الْحَبَّ مِنْكُمْ مَا بَيْنَ مَنْسَجَمٍ مِنْهُ وَمُضْطَرَمٍّ؟

المفردات: المنسجم: الدمع المنسكب/ المضطرم: القلب الملتهب شوقاً.

المعنى: أيلظن العاشق أن حبه مستور علي رغم دموعه و التهاب فواده؟

٥- لَوْ لَا الْهُوَى لَمْ تُثْرِقْ دَمْعاً عَلَى طَلَلٍ وَ لَا أَرْقَتْ لَذَكَرَ الْبَانَ وَ الْعِلْمَ

المفردات: البان: موضع قرب المدينة/ العلم: جبل قريها.

المعنى: لو لا حبك لساكن المدينة لما سكبت دموعك، و لا شهدت حين تذكرت البان و العلم.

٦- فَكَيْفَ تَنْكَرُ حَبّاً بَعْدَ مَا شَهِدْتَ بِهِ عَلَيْكَ عَدُولَ الدَّمْعِ وَ السَّقَمِ؟

المعنى: فكيف ترفض الاعتراف بحبك، و قد شهد عليك شاهدان عدلان هما: الدمع و المرض؟.

٧- وَ أَثْبِتَ الْوَجْدُ خَطِيئَةَ عِبْرَةٍ وَ ضَنْئٍ مِثْلَ الْبَهَارِ عَلَى خَدَّيْكَ وَ الْعَنَمِ

المفردات: بهار: زهر أصفر(فارسية)/ العنم: زهر أحمر.

المعنى: و قد خطَّ الحب في وجهك خطين بارزين هما الدموع و السقم، فأشبه الأول بالزهر الأحمر،  
وأشبه الثاني بالزهر الأصفر.

٨- نَعَمْ سَرَى طَيْفٌ مِنْ أَهْوَى فَأَرَقَّنِي      وَ الْحَبَّ يَعْتَرِضُ اللَّذَاتِ بِالْأَلَمِ

المعنى: فمادام أمرى قد فُضح فلأعلن عنه، فقد زارني طيف من أحب ليلاً فأبعد النوم عن عيني.

٩- يَا لَائِمِي فِي الْهَوَى الْعَذْرَى مَعْدِرَةً      مَتْنِي إِلَيْكَ وَ لَوْ أَنْصَفْتَ لَمْ تُلَمْ

المعنى: لماذا تلومني أيها اللائم على حيي الصافي الصادق؟ لو أنصفتَ حيي و قدَّرتَه لم تلمني.

١٠- مُحَضَّتْنِي النَّصَحَ لَكِنْ لَسْتُ أَسْمَعُهُ      إِنَّ الْحَبَّ عَنِ الْعُدَالِ فِي صَمِّ

المفردات: محضتني النصح: نصحتني مخلصاً/ العذال: اللائمون.

المعنى: مع أنك أخلصت في نصحي غير أنني لم أصغِ إليك، ذلك أن العاشق يصمُّ آذانه عن لوم اللائمين.

١١- وَ النَّفْسُ كَالطِّفْلِ إِنْ تَمَلَّهْ شَبَّ عَلَى      حَبِّ الرِّضَاعِ وَ إِنْ تَفَطَّمَهُ يَنْفَطِمُ

المعنى: النفس على ما عودتها ، تماماً كالطفل يظل مقبلاً على الرضاع ما دمت لا توليه عنايتك، ولكنك  
إن فطمتَه استجاب لأمرِك فانفطم.

١٢- فَاصْرِفْ هَوَاهَا وَ حَازِرْ أَنْ تَوَلِيَهُ      إِنَّ الْهَوَى مَا تَوَلَّى يَصْمُ أَوْ يَصِمُ

المفردات: أن توليه: أن تجعله والياً عليك/ يصمي: يقتل/ يصم: يعيب

المعنى: فامنع النفس و ما تهوى ، و احذر من أن تجعلها تسير عليك، لأنّ الهوى مادام ظاغياً يقتل أو يعيب.

١٣- محمد سيد الكونين و الثقليـ ————— من و الفريقين من عربٍ و من عجم

المفردات: الثقلان: عالم الإنس و عالم الجن

المعنى: محمد (ص) سيّد كلّ من خلقه الله من إنس و جن، و من عرب و غير عرب.

١٤- نبينا الأمرُ النّاهي فلا أحدٌ أبرّ في قول «لا» منه و لا «نعم»

المعنى: بيد نبينا الأمر و النهي، إن قال «لا» فلا تراجع، و إن قال «نعم» أصرّ عليها.

١٥- هو الحبيب الذي ترجى شفاعتهُ ١٥- لكل هول من الاهوال مقتحمٌ

المعنى: رسولنا حبيب الله، و هو الذي سنلوذ به يوم القيامة كي يشفع لنا. و هو المقدام الذي لايهاب هولاً مهما عظم.

١٦- دعا إلى الله فالمستمسكون به مستمسكون بجبلٍ غير منفصم

المفردات: المنفصم: المنقطع.

المعنى: رسالته هي الدعوة إلى الوحدةانيّة ، و من آمن به و شدّ به أزره تمسّك بجبل لا ينقطع.

١٧- فاق النبيّن في خلقٍ و في خُلُقٍ و لم يدأئوه في علمٍ و لا كرمٍ

المعنى: تفوّق على جميع الأنبياء قبله في حسنه و أخلاقه و في عمله و في سخائه.

١٨- فَمَبْلُغُ العلم فيه أنّه بشرٌ و أنّه خير خلق الله كلّهم

المعنى: غاية ما نعلمه أنّه إنسان مخلوق، غير أنّه خير من خلق الله.

١٩- و كلّ آي أتى الرسل الكرام بها فإنّما اتصّلت من نوره بهم

المعنى: و كلّ رسالة حملها الرسل كانت مرتبطة بنوره.

٢٠- فإنّه شمس فضلهم كواكبها يظهرّون أنوارها للناس في الظلم

المعنى: فإنّ فضل محمّد (صلى عليه وآله) بالنسبة إليهم، كالكوكب التي تستمدّ نورها من الشمس، و تبعثه في طريق هداية الناس.

٢١- يا خير من يَمّ العافون ساحتُهُ سعيّاً و فوق متون الأينقِ الرُّسم

المفردات: العافون: طلاب الرزق/ الأينق: النوق/ الرسم: التي ترسم الأرض.

المعنى: أنت أفضل من لاذ محتاج بدياره، و فوق ظهور النوق القوية التي تعلم الأرض بسنابكها.

٢٢- سرّيت من حرم ليلاً إلى حرمٍ كما سرى البدر في داجٍ من الظلم

المعنى: فقد طرت ليلاً من حرم مكة إلى حرم المسجد الأقصى، كما يسري بدر السماء في الليل الحالك.

٢٣- و بتّ ترقى إلى أن نلتَ منزلةً من قاب قوسين لم تدرك و لم ترمِ

المفردات: و يروى: فظلت ترقى.

المعنى: و ينتقل في هذا البيت من الإسراء إلى عروج النبي (صلى عليه و آله) إلى السماء، يقول: فأخذت

تصعد في السماوات العلا حتّى تصل إلى مقام الذات الإلهية و لم يبق بينك و بينها سوى قدر قوسين.

٢٤- بُشرى لنا معشر الإسلام إنّ لنا من العناية ركناً غير منهدم

المعنى: كل هذا بشرى للمسلمين، و ركن راسخ حظينا به.

و قال البوصيري في قصيدته «الحمدية»:

- ١- محمدٌ أشرف الأعراب و العجم محمدٌ خير من يمشي على قدم
- ٢- محمدٌ باسطُ المعروف جامعة محمدٌ صاحب الإحسان و الكرم
- ٣- محمدٌ تاج رسل الله قاطبةً محمدٌ صادق الأقوال و الكلم
- ٤- محمدٌ ثابت الميثاق حافظه محمدٌ طيب الأخلاق و الشيم
- ٥- محمدٌ خبيت بالنور طينته محمدٌ لم يزل نورا من القدم
- ٦- محمدٌ حاكم بالعدل ذو شرف محمدٌ معدن الإنعام و الحكم
- ٧- محمدٌ خير خلق الله من مضر محمدٌ خير رسل الله كلهم
- ٨- محمدٌ ذكره روح لأنفسنا محمدٌ شكره فرضٌ على الأمم
- ٩- محمدٌ زينه الدنيا و بهجتها محمدٌ كاشف الغمّات و الظلم
- ١٠- محمدٌ سيّد طابت مناقبه محمدٌ صاغه الرحمن بالنعيم
- ١١- محمدٌ طابت الدُّنيا ببعثته محمدٌ جاء بالآيات و الحكم
- ١٢- محمدٌ يوم بعث الناس شافعنا محمدٌ نوره الهادي من الظلم
- ١٣- محمدٌ قائم لله ذو همم محمدٌ خاتم للرسل كلهم

## شرح الأبيات:

١- محمدٌ أشرف الأعراب و العجم محمدٌ خيرٌ من يمشي على قدم

المعنى: محمد (ص) أشرف العالم من عرب و غير عرب، وهو خير من يمشي على قدم.

٢- محمدٌ باسطُ المعروف جامعة محمدٌ صاحب الإحسان و الكرم

المعنى: مدّ يده للمعروف للناس جميعاً، و هو صاحب الإحسان و الكرم.

٣- محمدٌ تاج رسل الله قاطبةً محمدٌ صادق الأقوال و الكلم

المعنى: محمد خير أنبياء الله و تاجهم جميعاً، وهو صادق القول في أي حال.

٤- محمدٌ ثابت الميثاق حافظه محمدٌ طيب الأخلاق و الشيم

المعنى: إن وعد وفى، وإن عاهد كفى، وهو كامل الأخلاق.

٥- محمدٌ خبيت بالنور طينته محمدٌ لم يزل نورا من القدم

المفردات: خبيت: لغة في خبت، إختفت

المعنى: حفظ الله طينته بالنور، فهو نور من بدء الخليقة.

٦- محمدٌ حاكم بالعدل ذو شرف محمدٌ معدن الإنعام و الحكم

المعنى: إن حكم عدل في حكمه لنبله، وهو أصل العطاء و الحكمة.

٧- محمدٌ خير خلق الله من مضر محمدٌ خير رسل الله كلهم

المعنى: مضر خير العرب، ومحمد (ص) خير قبائل مضر. و هو أفضل أنبياء الله.

٨- محمدٌ ذكره روح لأنفسنا محمدٌ شكره فرضٌ على الأمم

المعنى: هو روحنا التي نحيا بها، فشكره واجب على الخلق قاطبة.

٩- محمدٌ زينة الدنيا و بهجتها محمدٌ كاشف الغمّات و الظلم

المعنى: هو حسن الدنيا و سعادتها، و هو مزيل الأسى و الجور.

١٠- محمدٌ سيّد طابت مناقبه محمدٌ صاغه الرحمن بالنعمة

المعنى: هو سيد كملت شمائله، خلقه الله نعمة لنا.

١١- محمدٌ طابت الدُّنيا ببعثته محمدٌ جاء بالآيات و الحكم

المعنى: حين بعثه الله اكملت الدنيا و حلت في العيون، و هو الذي نزلت عليه الآيات و قدّم العظات.

١٢- محمدٌ يوم بعث الناس شافعنا محمدٌ نوره الهادي من الظلم

المعنى: و في يوم الحساب محمد (ص) شفيعنا إلى الله، ونوره أزال كل مظلمة.



١٣- محمد قائم لله ذو همم محمد خاتم للرسل كلهم

المعنى: يدعو الناس إلى أمر الله بما عرف من همّة عاليّة، و هو خاتم الأنبياء جميعاً.

#### ٤. الشهاب محمود (٦٤٤-٧٢٥هـ)

هو شهاب الدين محمود بن سامان بن فهد بن محمود، ولد بدمشق سنة ٦٤٤هـ وتلقى ثقافته فيها، واتصل بمشاهير علماء عصره، ولازم ابن الظهير و سلك طريقته في النظم والكتابة و برع فيهما، كما برع في الأدب والفقه.

تولّى الكتابة في ديوان الإنشاء بدمشق و هو في الثلاثين من عمره تقريباً، واستمر في هذا المنصب حتى سنة ٦٩٢هـ، وقد أشار إلى ذلك في مقدمة كتابه « حسن التوسل » فقال: « جعل الله لى فى كتابة الإنشاء رزقاً باشرت بسببه من وظائفها ما باشرت، وعاشت من أجله ما عاشت »<sup>٢</sup>

أصبح صاحب ديوان الإنشاء عند السلطان بيبرس البندقدارى سنة ٧٠٨هـ. وبقى مستمراً فى منصبه حتى وفاة شرف الدين بن فضل الله العمرى، فأعيد إلى دمشق سنة ٧١٧هـ و ولى مكانه نظر الإنشاء و كتابة السر فيها. وظل، بعد عودته من مصر، شاغلاً منصب السر بدمشق ثمانية أعوام إلى أن مات فيها سنة ٧٢٥هـ و دفن فى سفح جبل قاسيون.

كان الشهاب محمود دمث الخلق، هادى الطبع، كثير التواضع. و كان عالماً و كاتباً قديراً يكتب التقاليد الكبار والتواريخ بخطه الأنيق؛ و تعلّم الخط المنسوب، وبلغ منزلة سامية و مكانة مرموقة أهّلته لأن يعمل

<sup>١</sup>. ابن شاکر: فوات الوفيات ج ٢ ص ٢٥٨.

فى دواوين الإنشاء راحة طويلة من الزمن بلغ خمسين عاماً. و كان إلى جانب ذلك ناظماً بليغاً. وقد شهد له ابن حجر فى التفوق بالنظم والإنشاء والكتابة، و كان نثره يدخل فى ثلاثين مجلداً. و من محاسن نثره الكتاب الذى وصف فيه الخيل والرسالة التى وصف فيها البندق و هى من الطرديات.

وقد برع فى الشعر وفاق أقرانه، وعدّ من شعراء عصره المتقدمين، ومدح كثيراً من سلاطين المماليك المعاصرين أمثال المنصور قلاوون والأشرف خليل والناصر محمد. كما مدح غيرهم من نواب السلطنة والأمراء، وكانت بينه و بينهم مكاتبات و محاورات. وله قصائد فى مناسبات مختلفة و موضوعات متعددة كالوصف والثناء والإخوانيات يجارى فيها الشعراء فيما يعرضون له، ويتأنق تأنيقهم فى التعبير، ويذهب مذاهبهم فى التورية والتجنيس وضروب البديع الأخرى الشائعة آنذاك.

من آثاره الأدبية: كتابه المشهور «حسن التوسل إلى صناعة الترسى» طبع بمصر، و «مقامة العشاق» و هى مفقودة، و «منازل الأحباب و منازة الألباب» و هو فى الهوى العذرى، ولا يزال مخطوطاً.

### فتح حصن «المرب»

قال شهاب الدين محمود يمدح المنصور قلاوون حين فتح حصن «المرب» سنة ٦٧٨هـ و هو من الحصون المنيعة، وقد نظم الشعراء فى هذا الفتح عدة قصائد، و كانت قصيدة الشهاب محمود من القصائد التى أثني عليها، و جاء فيها قوله:

١- الله اكبر هذا النصر و الظفر هذا هو الفتح لا ما تزعم التفسير

٢- هذا الذى كان الآمال إن طمحت إلى الكواكب ترجوه و تنتظر

- ٣- فانهض و سر و املك الدنيا فقد نخلت  
٤- كم رام قبلك هذا الحصن من ملك  
٥- و كيف تمنحه الأيام مملكة  
٦- و كيف يسمو إليها من تأخر عن  
٧- كأثمه و كأن الجو يكنفه،  
٨- يختال كالعادة العذراء قد نظمت  
٩- تعلق الرياح إليه كي تحيط به  
١٠- ويومض البرق يهفو نحو ليرى  
١١- وأضرمت حوله نار لها لب  
١٢- كأنها ومجانيق الفرنج لها  
١٣- و كم شكا الحصن ما يلقي فما أكثرث  
١٤- ركبت في جندك الأولى إليها ضحا  
١٥- قد زال تجلى قواه عن قواعده  
١٦- وساخ و انشكفت أقباؤه وبدا  
١٧- فما يهوي إليهم كل ليث و غى  
١٨- إن لم يوفّ الورى بالشكر ما فتحت
- شوقا منابرها و إرتاحت السور  
فطال عنه و ما في باعه قصر  
كانت لدولتك الغراء تدخر  
إسعاده منجداك: القدر و القدر  
وهم تمثله في طيها الفكر  
منه مكان اللآلى الأنجم الزهر  
خبراً، و تدنو و ما في ضمنها خبر  
أدنى رباه و يأتي و هو معتذر  
من السيوف و من نبل الوفى شر  
فرائس الأسد في أظفارها الظفر  
يا قلبها أحديد أنت أم حجر  
و النصر يتلون منه جندك الآخر  
و حرّ أعلاه نحو الأرض يبتدر  
لديك مضمرات النصر ما ستروا  
له من البيض ناب و القنا ظفر  
يداك فالله و الأملاك قد شكروا

قعدة المرقب حصن منيع يقع على بعد ٥ كيلومترات شرق مدينة بانياس على الساحل السوري تابعة لمحافظة طرطوس في سوريا بُنيت في عام ١٠٦٢م ثم سيطر الصليبيون على القعدة عام ١١١٧م استعاد السلطان قلاوون عام ١٢٨٥م بعد معارك عنيفة و حصار طويل و كانت هزيمة نكسة كبيرة لهم

شرح الأبيات:

١- الله اكبر هذا النصر و الظفر هذا هو الفتح لا ما تزعم التفسير

المفردات: السير: مفردا السير، كتاب ترجمة الشخص أدخل فيها الغزوات و غيرها  
المعنى: الله الكبر هذا الفتح كان النصر و الظفر الحقيقي لا ما تحكيه كتب السير من الفتوح و الغزوات  
٢- هذا الذي كان الآمال إن طمحت إلى الكواكب ترجوه و تنتظر

المفردات: طمحت إلى: تطلع و نظر/ الكواكب: مفردا الكوكب، جرم سماوي يدور حول الشمس و يستضيء بضوءها/ الآمال: مفردا الأمل:منية و التمني  
المعنى: هذا الفتح كان متوقعا و كان آمالنا ترجو و تنتظر مثل هذا النصر

٣- فانهض و سر و املك الدنيا فقد نخلت شوقا منابرها و إرتاحت السور

المفردات: نخلت: ضعفت/ السور: مفردا السور  
المعنى: يا أيها الملك قم و اذهب لتمتلك الدنيا لأن منابرها قد ضعفت و جدارها قد خضعت أمامك  
شوقا إليك

٤- كم رام قبلك هذا الحصن من ملك فطال عنه و ما في با عه قصرُ

المفردات: رام: قصد/ الحصن: القلعة/ ما في باعة قصر: يقصد أنّه كان ملكا ذا قوّة و لم يكن ضعيفا  
قصير الباع

المعنى: كم من ملك قد قصد فتح هذه القلعة قبلك ولكنّ القلعة قد تمردت في حالة أنّ هذا الملك كان قويا شديدا القوي.

٥- و كيف تمنحه الأيام مملكة كانت لدولتك الغراء تدخرُ

المفردات: تمنح: تعطي/ الغراء: الزاهرة  
المعنى: و كيف كان الملوك قبلك ينتظرون فتح هذه القلعة و يتوقعون أن يعطيهم الدهر هذا الفتح الذي كان مختصّا بحكومتك الزاهرة.

٦- و كيف يسمو إليها من تأخر عن إسعاده منجداك: القدرُ و القدرُ

المفردات: يسموا إلى: يصعد إلى/ تأخر عن: إنصرف عن/ منجد: معين و مساعد  
المعنى: و كيف يفتح هذه القلعة الذي لا يحالفه القدر و العظمة اللذين قد ساعدك في فتحها

٧- كأثّه و كأنّ الجوّ يكنفه، وهم تمثله في طيّها الفكرُ

المفردات: طيّ: داخل، إثناء  
المعنى: كأنّ القلعة و الجوّ الذي يحيطها حلم و خيال يتجسّم في الأفكار.

٨- يختال كالعادة العذراء قد نظمت منه مكان اللآلى الأنجم الزهرُ

المفردات: لا يختال: يزهو و يتكبر/ الغادة: المرأة الناعمة/ العذراء: البكر من النساء/ اللآلى: مفرداها

اللؤلؤ، الدرّ/ الزهر: مفرداها الأزهر، كلّ مشرق مضىء

المعنى: إنّ هذا الحصن يزهو بنفسه كمرأة ناعمة غير متزوجة فتري في موضع عقدها النجوم الزاهرة

المضيئة التي تزيّنها

٩- تعلق الرياح إليه كي تحيط به خيراً، و تدنو و ما في ضمنها خيرُ

المعنى: إنّ الرّيح تصعد جدران القلعة لتجسس الأخبار فيهو ترجع في حالة لا تحمل خيراً (يقصد الشاعر

أنّ هذا الحصن حصن محكم وأن الحراس الأشداء يحرسونه بدقّة حيث لا يمكن لريّح أن تدخله تطلّع على

الأخبار)

١٠- ويومض البرق يهفو نحو ليرى أدنى رباه و يأتي و هو معتذرُ

المفردات: يهفو: يسرع/ يومض: يلمع/ الرّبي: مفرداها الربوة، الهضبة

المعنى: إنّ البرق يسرع نحو هذه القلعة ليرى الهضبات غير المرتفعة فيها ولكنّه يرجع خالى الوفاض

١١- وأضرمت حوله نار لها هب من السيوف و من نبل الوفى شررُ

المفردات: أضرمت: اشتعلت، اضطربت/ نبل: السهم/ الوغى: الحرب، المعركة

المعنى: إنّ أطراف هذه القلعة إشتعلت نار لهيها من ضرب السيوف و شررها من وقع السّهام

١٢- كأنّها ومجانيق الفرنج لها فرائس الأسد في أظفارها الظفرُ

المفردات: المجانيق: مفردها منجنيق، آلة قديمة من آلات الحرب كانت ترمى بها الأحجار الصغيرة لهدم

الأسوار/ الفرائس: مفردها فريسة، الصيد/ الأسد: مفردها الأسد، سلطان الغابة/ أظفار: مفردها ظفر،

المخلب للحيوان

المعنى: كأنّ القلعة لما حاصرتها مجانيق الفرنجيين اصاباً للأسود التي تحمل النصر بين مخالبيها.

١٣- و كم شكا الحصن ما يلقي فما أكثرثت يا قلبها أحديد أنت أم حجرُ

المفردات: أكثرثت: توجّهت، اعتنت، اهتمت بـ

المعنى: وكم مرّة إشتكى الحصن ما يواجهه من الهجوم و الخراب إثناء الحرب لكنّ المجانيق ما اهتمت

بشكواه فيا عجبى لقلبها أمن الحديد أم من الحجر؟

١٤- ركبت في جندك الأولى إليها ضحا و النصر يتلون منه جندك الآخرُ

المفردات: الضحى: الظهيرة

المعنى: إنك قد هجمت على الحصن عند الظهر في جندك الأولى ثمّ الجنود الآخرين قد التحقوا بك

وتحقّق بك النصر

١٥- قد زال تجلى قواه عن قواعده و خرّ أعلاه نحو الأرض يتدرُ

المفردات: تجلى عن: تخرج، تكشف/ قواعد: مفردا قاعدة، المعسكر/ خرّ: سقط/ يتدر: يتحرك،

يسرع

المعنى: إنّ ببناء القلعة قد تهدّم و زالت قوّتها و إستقرارها وسقطت القلعة على يد جنودك كأنّ سورها و

جدارها العالية سقط على الأرض على الفور

١٦- وساخ و انشكفت أقبأؤه وبدا لديك مضمرات النصر ما ستروا

المفردات: ساخ: غاص في الأرض/ أقباء: مفردا قبو، بناء تحت الأرض، السرادب، مضمر: مختفي

المعنى: إنّ القلعة تهدّمت جدارها كأنّها تغمر في الأرضو إنكشف ما بُنيت تحت أرضها و حينئذٍ بدا لك

أنّ النصر لقريب

١٧- فما يهوي إليهم كلّ ليث و غىّ له من البيض نابّ و القنا ظفرُ

المفردات: يهوى إلى: يتجّه إلى و يهجم/ ليث: أسد/ الوغى: الحرب و المعركة/ ليث و غى: كناية عن

رجل الحرب و الشجاع/ البيض: مفردا الأبيض، السيف، الناب: السين/ القنا: مفردا القناة، الرمح/

الظفرُ: مفردا الظفر، المخلب

المعنى: إنّ جنودك الشجعان قد هجموا على الأعداء بعد سقوط القلعة و هم يشبهون الأسود المفترسة

و كأنّ سيوفهم أنيابها و رماحهم مخالبها

١٨- إنّ لم يوفّ الورى بالشكر ما فتحت يداك فالله و الأملاك قد شكروا



المفردات: وفّى بـ : أتمّ، أكمل/ أملاك: مفردها ملك، جسم نوراني لطيف من خلق الله كجبريل المعنى: و لو لم يكن الناس قد أحسنوا الشكر في ما فعل يداك في فتح القلعة لا بأس بك لأنّ الله- تعالى- يعطيك أجرا عظيما عرفانا لمعروفك و الملائكة المقربين يشكرونك.

## دحر التتار

تركت وقعة (عين جالوت) في نفوس التتار أثراً مُراً إذ كانت فاتحة هزائمهم على يد المسلمين، فلاغربة أن نراهم يعيدون الكرة و يهاجمون ديار الشام محاولين غسل العار الذي لحق بهم، ولكن ما كادت الأخبار تصل إلى الظاهر ببيرس بأن التتار قد عادوا يهاجمون ديار الشام حتّى سار إليهم، ففرّوا من لقائه فلاحقهم و إلتقى بهم على ضفاف الفرات و هزمهم شر هزيمة سنة ٦٦٦ هـ و خاض النهر و راءهم و استأصل شأفتهم و لم ينج منهم إلّا عدد قليل، فنظم الشهاب محمود قصيدة يمدح بها الملك الظاهر ببيرس بهذه المناسبة، استهلها بقوله:

- |                               |                            |
|-------------------------------|----------------------------|
| ١- سرّ حيث شئت لك المهيمن جار | واحكم فطوغ مرادك الأقدار   |
| ٢- لم يبق للدين الذي أظهرته   | يا ركنه، عند الأعادي ثار   |
| ٣- حملتك أموج الفرات و من رأى | بحراً سواك تقلّله الأنهار  |
| ٤- وتقطعت فرقا و لم يك طودها  | إذ ذاك إلّا جيشك الجرّار   |
| ٥- رشّت دماؤهم الصعيد فلم يطر | منهم على الجيش السعيد غبار |

- ٦- شكرت مساعيك المعقل و الورى  
و التّرب و الآساد و الأطيّار  
٧- هذي منعت و هؤلاء حميتهم  
و سقيت تلك و عمّ ذا الإيسار  
٨- فلأملأنّ الدّهر فيك مدائحاً  
تبقى، بقيت، و تذهب الأعصار

### شرح الأبيات:

- ١- سرّ حيث شئت لك المهيمن جارّ  
واحكم فطوع مرادك الأقدار

المفردات: سرّ: فعل أمرٍ من (سار يسير) إذهب/ المهيمن: الله عزوجل/ طوع مرادك: منقاد لمطلوبك،

موافق قصدك

المعنى: إتّجه إلى أيّ مكانٍ أردت فإنّ الله - عزّ وجلّ - يرافقك و القدر يصاحبك و ينقاد لنيّاتك.

- ٢- لم يبق للدين الذي أظهرته  
يا ركنه، عند الأعادي ثار

المفردات: أظهرته: دافعت عنه/ الأعادي: مفردها العدو: الخصم/ ثار: طلب الدّم

المعنى: يا ركن الدين! إنّك عن دين الإسلام أمام الأعداء و إنتقمت منه حيث لم يبق عندهم ثارٌ يطلب.

- ٣- حملتك أموج الفرات و من رأى  
بحراً سواك تقلّله الأنهار

المفردات: تقلّله: تحمله

المعنى: إنّ أمواج نهر الفرات حملتك حينما كنت تلحق المغول و خضت الفرات و راءهم و من شاهد قبل  
هذا بحر كرم و جود تحمله الأنهار؟

٤- وتقطعت فرقا و لم يك طودها إذ ذاك إلا جيشك الجرار

المفردات: تقطعت: تفرقت/ فرقا: مفردا فرقة: جماعة/ الطود: الجبل العظيم/ الجرار: كثير الجر، سمي  
بذلك لأنه يجر غبار الحرب، العظيم

المعنى: إنّ جيش العدو قد تفرق و إنقسم إلى جماعات متفرقة عندما لحقهم جيشك العظيم.

٥- رشّت دماؤهم الصعيد فلم يطر منهم على الجيش السعيد غبار

المفردات: رشّت: غسلت/ الصعيد: الأرض

المعنى: إنّ دماء الأعداء المسفوكة قد تفرقت على الأرض و غسلت شاطئ النهر دون أن يجلس غبار من  
الأعداء على جيشك الظافر السعيد.

٧- شكرت مساعيك المعقل و الورى و الترب و الآساد و الأطيّار

المفردات: المساعي: الجهود/ المعقل: مفردا المعقل: الحصن/ الورى: الناس/ الآساد: مفردا أسد و هو

ذاك الحيوان المفترس المشهور بملك الغابة/ الأطيّار: مفردا طائر: كلّ حيوان ذي جناح

المعنى: إنّ الأرض و الحصون و الناس و الأسود و الطيور جميعها تشكر جهودك في قمع الأعداء

٨- هذي منعت و هؤلاء حميتهم و سقيت تلك و عمّ ذا الإيسار

المفردات: حميت: حفظت، دافعت عن/ عمّ: شمل/ الإيسار: الخير والبركة

المعنى: إنك هزمت الأعداء و حفظت الحصون و القلاع و دافعت عن الناس و رويت الأرض و التراب من دم الأعداء و أطعمت من جثث الأعداء و أجسادهم الأسود و الطيور و شمل الخير و البركة فلذا تشكر جهودك جميعها.

٩-فلأملأنّ الدّهر فيك مدائحاً      تبقى، بقيت، و تذهب الأعصارُ

المفردات: الأعصار: مفردها عصر: الدّهر، الزمن

المعنى: إنني أنشد فيك مدائحاً كثيرة خالدة و أنشرها كي تبقى طوال العصور و يبقى ذكرك خالداً.

## ٥.الشاب الظريف(٦٦١ هـ – ٦٨٨ هـ)

محمد بن سليمان بن علي بن عبد الله التلمساني، شمس الدين (٦٦١ هـ – ٦٨٨ هـ/ ١٢٦٣ - ١٢٨٩م)، شاعر مترقق، مقبول الشعر ويقال له أيضاً ابن العفيف نسبة إلى أبيه الذي عرف بالعفيف التلمساني، وكان شاعراً أيضاً. لقب لرقته وطرافة شعره بالشاب الظريف، فغلب عليه هذا اللقب وعرف به.

ولد في القاهرة ونشأ في دمشق حيث ولي أبوه عمالة الخزانة بها. والده من اهل العلم والأدب، له مصنفات وأشعار، فتلمذ الفتى على والده ابتداء وعلى طائفة من العلماء منهم ابن الأثير الحلبي. ويدل ما

في شعره من مصطلحات الفقهاء وأصحاب الأصول وأهل المنطق على طبيعة ثقافته ومعارفه العامة. كان ذا خط جميل كتب به ديوانه. توفي في دمشق عام ٦٨٨ هـ .

الشاب الظريف شاعر رقيق وصفه الصفدي بقوله (شاعر مجيد ابن شاعر مجيد، وكان فيه لعب وعشرة وانخلاع) وذلك لما ورد في ديوانه من مقطعات صغيرة تجاوز فيها الحد الذي يقف عنده كل تقي ورع ولكننا مع ذلك نجد له بعض الأبيات في مديح النبي صلى الله عليه وسلم تؤكد حبه للنبي صلى الله عليه وسلم وصحة اتباعه لتعاليمه .

قال «الشاب الظريف» شارحاً ما يعانيه من الآم العشق و ذاكراً لرفاقه دروسَ الهوى:

- |                                      |                               |
|--------------------------------------|-------------------------------|
| ١- لا تُخَفِ ما صنعتُ بكِ الأشواقُ   | واشرحِ هواك فكلُّنا عشاقُ     |
| ٢- قد كان يخفي الحبُّ لولا دمعك الـ  | جاري و لولا قلبك الحفَّاقُ    |
| ٣- فعسى يعينُك من شكوتَ له الهوى     | في حملهِ فالعاشقون رفاقُ      |
| ٤- لا تجزعنْ فلستِ أوَّلَ مغرمٍ      | فتكتُ به الوجناتُ و الأحداقُ  |
| ٥- واصبرِ على حجر الحبيب فرِّبما     | عاد الوصالُ و للهوى أخلاقُ    |
| ٦- كم ليلةٍ أسهرتُ أحداقي بها        | ملقىً و للأفكار بي إحداقُ     |
| ٧- ياربُّ قد بُعدَ الذين أحبُّهم     | عني و قد أَلَفَ الرفاقَ فراقُ |
| ٨- و إسودَّ حظِّي عندهم لما سرى      | فيه نِمار صبابتي إحراقُ       |
| ٩- عُربٌ رأيتُ أصحَّ ميثاقٍ لهم      | أَلَّا يصحَّ لديهم ميثاقُ     |
| ١٠- و على النياق في الأكلَّةِ مُعرضُ | فيه نِفارٌ دائمٌ و نفاقُ      |

١١- ترنو العيونُ إليه في إطراره فإذا رنا فلكلّها إطراقُ

شرح الأبيات :

١- لا تُخفِ ما صنعتُ بكِ الأشواقُ و اشرحِ هواكِ فكلُّنا عشاقُ

المعنى: أيّها العاشقُ! لا تكتُمِ ما فعلَ بكِ الحبُّ و الإشتياقُ و اشرحِ لنا ما تحبُّ و تعشقِ لأنّنا عشاقُ جميعاً.

٢- قد كان يخفي الحبُّ لولا دمعك الـ جاري و لولا قلبك الخفاقُ

المعنى: لو لم تكن دموعك تجري و لولا تكن قلبك يخفقُ بشدّةٍ عند الوداع لكان الحبُّ يخفي ولكن الدمع الجاري و القلب الخفاق يشهدان على حبّك له.

٣- فعسى يعينك من شكوتَ له الهوى في حمله فالعاشقون رفاقُ

المعنى: ربّما يساعدك في تحمّل الحبِّ و الفراق من تبثّ له الشكوى و تشرحُ له ما جرى عليك لأنّه عاشقٌ مثلك و العاشقون أصدقاء رفاق.

٤- لا تجزعنّ فلستِ أوّل مغرمٍ فتكتُ به الوجناتُ و الأحداقُ

المفردات: لاتجزعن: لا تفزعن / الوجنات: مفردُها وجنةٌ و هي ما إرتفع من الخدين/ الأحداق: العيون/

مغرم: عاشق، محبٌ / فتكتُ بِـ: هجمت على، قتلت

المعنى: لاتفزعُ و لاتجزعُ من الحبِّ لأنك لستَ أوَّلَ عاشقٍ قلته الخدودُ و العيونُ

٥- واصبرْ على حجر الحبيب فرِّبما عاد الوصالُ و للهوى أخلاقُ

المعنى: أيها المحبُّ! إصبرْ على فراقِ المحبوب فعسى أن يعود زمنُ الوصال فهذه حالُ الهوى و أخلاقُ أهل

الهوى فالحبيبُ مرةً يبتعد و مرةً يرضى.

٦- كم ليلةٍ أسهرتُ أحداقي بها ملقىً و للأفكار بي إحداقُ

المفردات: الأحداق: مفردُها الحديقة: العيون/ الإحداق: الإحاطة / أسهرت: ما نمتُ

المعنى: كم من ليلةٍ بتُّ ساهراً لم أنم ملقىً على الفراش و الأفكارُ تحيطُ بي من كلِّ جانبٍ.

٧- ياربُّ! قد بُعدَ الذين أحبُّهم عنِّي و قد أَلَفَ الرفاقَ فراقُ

المعنى: يا إلهي! إبتعد عني الذين أحبُّهم حتَّى لكأنَّ الفراقَ صار يَأْلَفُ هؤلاء المحبِّين، فلاأستطيع رؤيته.

٨- و إسودَّ حظِّي عندهم لما سرى فيه بنار صبابتي إحراقُ

المفردات: سرى: دَبَّ فيه و تسلَّلَ / الصَّبابة: الشوقُ والولعُ الشديدُ

المعنى: إنَّ حظِّي سيِّءٌ مع الأحباب فكأنَّ نارَ الشوق و الحبِّ سرتْ إلى حظِّي فأحرقتَه فصارَ مسودَّ

اللون.

٩- عُربٌ رأيتُ أصحَّ ميثاقٍ لهم      أَلَا بَصَحَّ لَديهم ميثاقُ

المعنى: إنَّ هذا الحبيب من العرب، هؤلاء العرب الذين من أصحَّ مواعيقهم عدمُ الوفاء بالعهد و التقيد به.

١٠- و على النياق في الأكلّة مُعرضٌ      فيه نفاًزٌ دائِمٌ و نفاقُ

المفردات: النّياق: مفردُها: ناقة/ الأنثى من الإبل/ الأكلّة: مفردُها إكليل و هو التّاج و ربّما أراد بها الكلّة  
و هي السّتر الرقيق، الناموسية/معرض: بجانب، مُضرب/ النّفاًز: الهروب و الإبتعاد

المعنى: هو حينَ ينتقلُ في الهودج على النوق، دائِم الإعراض و الإبتعاد عنيّ و لا يحافظ على عهدٍ.

١١- ترنو العيونُ إليه في إطرّاقه      فإذا رنا فلكلّها إطرّاقُ

المفردات: ترنو: تنظرُ/ الإطرّاق: إرخاء العينين و التّنظر إلى الأرض.

المعنى: كلّ العيون تنظر إليه حينما ينظر إلى الأرض و إذا ما رفعَ بصره و نظر إلى النّاس أطرّقوا خشية فتنة  
عيونه و حياءً لجمالهِ الفتان .

قال " الشابُّ الطّريف " في مطلع إحدى مدائحه:

١- لي من هواك بعيده و قريبه      و لك الجمالُ بديعه و غريبه

٢- إن لم تكن عيني فإنك نورها      أو لم تكن قلبي فأنت حبيبه

٣- هل حُرمةٌ أو رحمةٌ لمتيمِّ      قد قلّ فيك نصيره و نصيبه

٤- ألفَ القصائد في هواك تغزلاً      حتّى كأنّ بك النسيبَ نسيبه



٥- هب لي فؤاداً بالغرام تشبهه      و إستبق فوداً بالصدود تشبهه

٦- لم يبق لي سر أقول، تُذيعه      عنّي و لاقلب أقول تُذيعه

شرح الأبيات:

١- لي من هواك بعيدّه و قريبّه      و لك الجمالُ بديعه و غريبّه

المعنى: أنا أحبّك و أحملُ أنواعَ الحبّ لك بعيداً كان أو قريباً و أنت صاحب الجمال البديع الغريب الذي يفتن القلب و يبهر العين.

٢- إن لم تكن عيني فإنك نورها      أو لم تكن قلبي فأنت حبيبّه

المعنى: أنت بمثلة العين منّي و أنت نورُ عيني و بصري، أو أنت بمثلة قلبي و أنت حبيب قلبي و لايمكنني العيش دونك.

٣- هل حُرمة أو رحمة لمتيم؟      قد قلّ فيك نصيره و نصيبه

المفردات: متيم: عاشق، صبّ

المعنى: هل ترحم عليّ أو تراعي حرمتي و أنا عاشقٌ صبٌّ و لأجدُ أحداً يعنيني في حبّك كما لا أجد نصيباً من وصالك؟

٤- أَلَفَ القَصَائِدَ فِي هَوَاكَ تَغْزِلًا      حَتَّى كَأَنَّ بَكَ النِّسِيبَ نَسِيبُهُ

المفردات: أَلَفَ: إِسْتَأْنَسَ / التَغَزَّلَ: التَشَبُّبُ بِالْمَرْأَةِ فِي الشَّعْرِ / النِّسِيبُ: رَفِيقُ الشَّعْرِ فِي النِّسَاءِ  
المعنى: إِنَّ الشَّاعِرَ (نَفْسِي) أَسْتَأْنَسَ الشَّعَرَ وَ يَنْشُدُ الْقَصَائِدَ لِتَشَبُّبِ بكَ حَتَّى صَارَ شَعْرُهُ الرَّقِيقُ كُلُّهُ فِي  
حَبِّكَ وَ الشُّوقِ إِلَيْكَ.

٥- هَبْ لِي فِؤَادًا بِالْغَرَامِ تَشْبِيهِ      وَ آسْتَبِقْ فُودًا بِالصَّدُودِ تَشْبِيهِ

المفردات: هَبْ: أَعْطِ / تَشْبِيهِ: تَوْقَدُهُ، تَحْرِقُهُ / الْفُودُ: جَانِبُ الرَّأْسِ مِمَّا يَلِي الْأُذُنَيْنِ / الصَّدُودُ: الْفِرَاقُ /  
تَشْبِيهِ: تَجْعَلُهُ أَشْيَاءَ الْمَبِیْضِ الشَّعْرَ  
المعنى: قَدْ أَشْتَعَلَتْ نَارَ حَبِّكَ فِي قَلْبِي فَاتْرَكَ لِي هَذَا الْقَلْبَ الْعَاشِقَ الْمَشْتَعَلَ بِنَارِ حَبِّكَ وَ قَدْ جَعَلْتَ شَعْرِي  
مَبِیْضًا فَاتْرَكَ هَذَا الشَّعْرَ الْمَبِیْضَ فِي فِرَاقِكَ لِي.

٦- لَمْ يَبْقَ لِي سِرٌّ أَقُولُ، تُذِيعُهُ      عَنِّي وَ لَا قَلْبٌ أَقُولُ تُذِيعُهُ

المفردات: تُذِيعُهُ: تَبْوَحُ بِهِ وَ تَنْشُرُهُ  
المعنى: أَنَّنِي بَحْتُ بِجَمِيعِ أَسْرَارِي لَكَ وَ مَا بَقِيَ سِرٌّ أَقُولُهُ لَكَ وَ أَقُولُ إِنَّكَ تَنْشُرُهُ وَ لَا أَمْتَلِكُ قَلْبًا كَيْ أَقُولَ  
إِنَّكَ تُذِيعُهُ بِحَبِّكَ.

يَمْدَحُ الشَّابُّ الظَّرِيفُ الْمَلِكُ الْمَنْصُورُ الثَّانِي مُحَمَّدٌ صَاحِبُ «حِمَاة» وَ هُوَ الْوَحِيدُ الَّذِي مَدَحَهُ مِنَ الْمُلُوكِ  
وَ السَّلَاطِينِ، فَيَقُولُ:

- ١- أخاف صرف الدهر أم حدثائه
- ٢- ملكٌ نداءه فكّني و أنتاشني
- ٣- ملكٌ إذا حدثتُ عن إحسانه
- ٤- و إذا ترّمت الرواة بمدحه
- ٥- هاجرتُ نحو محمدٍ لمارأ
- ٦- و نيتُ أعناق القوافي نحوّه
- ٧- فلو أنّي خيّرتُ من دهري المني
- والدهرُ للمنصور بعضُ عبيده
- من مخلبيه و من إساد قيوده
- حدثتُ عن مبدي الندى و معيده
- و ثنائه اهتزّت معاطفُ جوده
- يتُ العالمُ العلويّ في تأييده
- و نظمتُ درّ مدائحي في جوده
- لأخترتُ طولَ بقائه و خلوده

شرح الأبيات:

- ١- أخاف صرف الدهر أم حدثائه
- والدهرُ للمنصور بعضُ عبيده

المفردات: حدثان الدهر: مصائبه/ المنصور: الملك المنصور الثاني محمد صاحب «حمّة»

المعنى: أ إنني أخاف من مصائب الدهر و خطوبه في حالة أن الدهر بمثّلة عبدٍ من عبيد الملك المنصور الثاني؟ فإنني لأخاف من الدهر و حوادثه مادام الملك المنصور يحكم لأن الدهر و حوادثه طوعُ أمره و رهن إشارته.

- ٢- ملكٌ نداءه فكّني و إنتاشني
- من مخلبيه و من إساد قيوده

المفردات: نداء: إحسانه و كرمه/ فكّني: نجّاني و أطلق سراحني / إنتاش: خلّص/ مِخلَب: الظُفر في

الحيوانات و الطيور المفترسة

المعنى: إنّه ملكٌ خلّصني إحسانه و كرمه من مخالفه و من قيود إيسارته

٣- ملكٌ إذا حدّثُ عن إحسانه حدّثُ عن مبدي التّدى و معيده

المفردات: مبدي: الذي يبدأ بأمرٍ/ معيد: الذي يكرّر الأمر

المعنى: هو ملكٌ حينما تكلمت عن كرمه و إحسانه تكلمت عن الذي يبدأ بالكرم دائماً و يكرّر إحسانه

و هباته فهو دائم الإحسان مستمرّ الفضل.

٤- و إذا ترنّمت الرواة بمدحه و ثنائه اهتزّت معاطفُ جوده

المفردات: ترنّم: تكلم و تغنّى/ الرواة: مفردها الرّاوي: الذي ينقل الأخبار و الأشعار/ اهتزّت: تحرّكت/

المعاطف: مفردها معطف: جانب الجسم

المعنى: و حينما يمدحه رواة الأشعار و يثنون عليه تعطيهم المال الوفير و تجود عليهم من نعمته.

٥- هاجرتُ نحو محمّدٍ لما رأيتُ العالمَ العلويّ في تأييده

المعنى: إنني إتجهت نحو الملك المنصور الثاني محمّد و تركت أهلي و موطني لما رأيتُ أنّه ملكٌ يؤيّدُ العالمُ

السمائيّ و ساكنوه إضافةً إلى أهل الأرض.

٦- و ثبّتُ أعناق القوافي نحوّه و نظمتُ درّ مدائحي في جوده

المفردات: أعناق القوافي: يقصد الأبيات/ الدّر: الجواهر

المعنى: و وجّهتُ جميع أشعاري إليه و أنشدتُ في إحسانه و جوده أحسن مدائحي و أجمل أشعاري

٧- فلو أنني خيّرتُ من دهري المني لأخترتُ طولَ بقائه و خلوده

المفردات: المني: مفردها المنية: الأمل/ خيّرتُ: صرتُ مختاراً

المعنى: فلو صرتُ مختاراً كي أختارَ آمالاً تحقّق و أبلغ مرادي في الدّهر لأخترتُ بقاء الملك و خلوده أمنيّة

الوحيدة.

## ٦. صفي الدين الحلبي (٦٧٧ - ٧٥٠ هـ)

صفى الدين عبد العزيز بن ابي القاسم السنبسي الطائي و الملقب بصفى الدين الحلبي ولد في الحلة قرب

الكوفة و نشأ فيها . كانت ولادته سنة ٦٧٧ هـ / ١٢٧٧ م .

كان يمتّهن التجارة و يرحل الى الشام و مصر و ماردين و يعود الى العراق و اتصل بملوك دولة "الارتقية

" و مدحهم و نال منهم العطايا . تعلّم الفروسة و الرماية و حفظ القرآن .

كان زمن عيشه معاصر دخول المغول لبغداد و ما اصاب اليها من التدمير و البلايا مما أثر علي اشعاره .

عاش الشاعر في الحلة و القاهرة و الموصل و ماردين و بغداد التي توفي فيها. تعتبر صفى الدين الحلبي

مبدع البديعيات و كان شعره بعيداً عن الالفاظ الوحشية .

يمكن ان نشير الي اهم نقاط في شعره كما يلي :

- له قصائد طويلة و أيضا الموشحات و الخمسات و المقطعات و غيرها . و كان من ابرز شعراء عصره مولعاً بالبديع و عنده قريحة فيّاضة و خيال خلاق ادي الي ان يطلق عليه اشهر شعراء عصره علي الاطلاق .

- له " الارتقيات " و هي اشعار مدح فيها ملوك دولة الارتقية ، و الملك المنصور ملك ماردین . و الذي يحتوي علي ٢٩ قصيدة ، كل منها يتكون من ٢٩ بيتا ، تبدأ أبيات كل قصيدة منها و تنتهي بأحد أحرف الهجاء.

- له " الناصريات " و هي قصائد يمدح فيها السلطان الناصر ابن قلاوون.

من اشهر أشعاره التي اشتهر و عارض بها بائية المتنبي ، قصيدة الفية ، منها :

تُرْجِي مواهبه و يُرْهب بطشه	مثل الزمان مسالماً و محارباً
فاذا سطا ملأ القلوب مهابةً	و اذا سخا ملأ الزمان مواهباً
كالغيب يبعث من عطاء و ابلا	سبطاً و يرسل من سطاها حاصباً <sup>٣</sup>

و ايضا قال في قصيدته الشهيرة (النونية):

سلي الرماح العوالي عن معالينا      و استشهدني البيض هل خاب الرجا فينا

و سائلي العُرب و الأتراك ما فعلتُ      في أرض قبر عُبيدالله أيدينا

من خصوصيات شعره انه كان مولعا بالبديع و ظاهر شعره كما كان يسود في عصره . فنلاحظ

في قصيدة معجمة له ليس فيها حرف مهمل ( يعني كل الحروف فيها منقطة ) ها هي مطلعها :

---

- خفاجي ، محمد عبد المنعم ، ص ٣٩١

بجفنٍ تفتن في فتني

فتنت بظلي بغي خبيتي

و هناك نوع آخر من شعره يسمى الشعر العاقل او المهمل والذي تميّز بخلو كلماته من النقط :

و روع العصم و للأسد صاد

سدد سهماً ما عدا روعه

كما يبرز لنا الشاعر يلتزم نفسه - مثل ما يفعل الشعراء الآخرون،- بالبديع و المحسنات اللفظية التزاماً شديداً بل أكثر و أشدّ منهم، بينما نشاهد في ديوانه الذي " رتبه علي ١٢ باباً و جمعه هو بنفسه التكلف و التصنع الشديد يكثر من وجوه البديع و الألاعيب اللفظية و له في التصنيع قصيدته "الكافية" في المدائح النبوية جمع فيها انواع المحسنات اللفظية و المعنوية " <sup>٤</sup> توفي صفى الدين الحلبي في بغداد سنة ٧٥٠ هـ / ١٣٤٩ م .

يقول صفى الدين الحلبي:

و استشهدى البيض هل خابَ الرجا فينا

١. سلى الرماح العوالي عن معالينا

في أرضٍ قبرٍ عبيداللهٍ أيدينا

٢. و سائلي العرب و الأتراك ما فعلت

عمّا نرومُ ، و لا خابت مساعينا

٣. لما سعيننا فما رقت عزائمنا

دنا الأعادي كما كانوا يدينونا

٤. يا يوم وقعة زوراء العراق ، وقد

إلا لنغزو بها من بات يغزونا

٥. بضمرٍ ، مار بطناها ، مسومةً

---

- حنا الفلخوري ، ص ١٠٤٩

٦. و فتيةٌ ، إن نَقْل ، أصغوا مسامعهم  
لقولنا ، أو دعوناهم أجابونا
٧. قومٌ إذا استنصموا كانوا فراعفةً  
يوماً و إن حُكموا كانوا موازينا
٨. تدرّعوا العقلَ جلباباً فإن حميت  
نارُ الوغي خلتهم فيها مجاينا
٩. إذا ادعوا جاءت الدنيا مُصدقةً  
و إن دَعَوْا قالت الأيامُ : آمينا
١٠. إن الزرايرَ لما قام قائمها  
توهّمت أنّها صادرت شواهينا
١١. ظننت تأنّي البراة الشهبَ عن جزعٍ  
و مادرت أنّه قد كان تهوينا
١٢. إنا لقومٌ أبت أخلاقنا شرفاً  
أن نبتي بالأذي من ليس يؤذينا
١٣. بيضُ صنائعنا ، سُودٌ و قائعنا  
خُضرٌ مرابعنا ، حُمُرٌ مواضينا
١٤. لا يظهرُ العجزُ منا دونَ نيلٍ مُنيّ  
و لو رأينا المنايا في أمانينا
١٥. تدافعُ القَدَرُ المحتومَ همّتنا  
عنا ، و نخصمُ صرفَ الدهرِ لو شينا
١. سلي الرماحَ العوالي عن معالينا  
و استشهدني البيضَ هل خابَ
- الرجا فينا
- المفردات : العوالي : مفرداها عالية و هي صفة للرّماح - البيض : مفرداها الأبيض و هي صفة  
للسيوف - خاب : إنقطع أمله ، لم ينل حاجته



يقول الشاعر : ( أَيُّهَا الحبيبة ) لو شككت في معالينا و إعتزاز قبيلتنا إسألني الرماح العالية  
لتخبرك عمّا فعلناه في ساحات الحرب ، و إذا سألت عن السيوف تشهد صادقةً بأننا  
حَمِينَا كُلٌّ مِنْ إلتجأ إلينا راجياً عوننا

٢. و سألني العرب و الأتراك ما فعلت في أرض قبر عبيدالله أيدينا  
معني البيت: و اسألني العرب و الأتراك ليخبراك ايضاً عمّا فعلنا في أرض قبر عبيدالله بن  
زياد .

٣. لما سعيننا فما رقت عزائمنا  
عمّا نروم ، و لا خابت مساعينا  
المفردات: رقت : لانت ، ضُعفت - نروم : نقصد ، نريدُ  
معني البيت: حين عزمنا علي إنجاز أمرٍ ، فلم تضعف إرادتنا عن انجاز ما قصدناه و ما يمسنا  
حتي الوصول إلي الغاية .

٤. يا يوم وقعة زوراء العراق ، وقد  
دنا الأعادي كما كانوا يدينونا  
المفردات: دنا : أذللنا ، أضعفنا  
شرح البيت: ما كان اعظم يوم وقعة زوراء العراق ، حين أذللنا الأعداء بعد أن كانوا قد  
إنتصروا علينا .

٥. بضُمِّرٍ ، ما ربطناها ، مسوِّمةٌ  
إلا لِنَغْزُو بها مَن باتَ يغزونا

ضُمِّرَ : مفردُها ضامرٌ : الهزيل و القليل اللحم ، نعت للخيل المحذوفة و هنا بمعنى الخيل  
السريعة السير - ماربطناها : الخيل الطليقة و الحرّة في المراعي - مسوِّمة : المطلقة حيث  
ترعى كلّما تشاء .

( ماربطناها ، مسوِّمة ) : قصد الشاعر من هذه الجملة أن الخيل الضامرة ما هزلت بسبب  
عدم المراعي بل هي هزيلة للمشاركة الكثيرة في ساحات القتال .  
يقول الشاعر: لقد انتصرنا علي الأعداء بالخيل الخفيفة السير التي كانت مطلقة في المراعي  
مستعدة للقتال لنركبها و نهاجم علي الأعداء .

٦. و فتيةٌ ، إن نُقِلْ ، أصغَوْا مسامعَهُمْ  
لَقولنا ، أو دعوناهم أجابونا  
معني البيت: و هاجمنا علي الأعداء بفتيانٍ سامعينٍ لَقولنا ملّيينٍ دعوتنا للقتال مع الأعداء .

٧. قومٌ إذا استُخْصِمُوا كانوا فراعنةً  
يوماً و إن حُكِّمُوا كانوا موازينا  
معني البيت : إنّنا قومٌ إذا يعارضنا العدو أحياناً ، فنعامل معه بشدّةٍ و عنفٍ كالفراعنة و إن  
طلّبوا مِنّا الحكم فنحكم بينهم بالعدلِ دونَ ظلمٍ .

٨. تدرّعوا العقلَ جلباباً فإن حميت  
نارُ الوغي خلتهم فيها مجانينا

المفردات :تدرّعوا : لبسوا الدرع ، شَبَّهَ العقلَ بالدرع - جلباب : قميص واسع و طويل  
يُلبَس فوق الثياب - حَمَيْت : إشتدَّت حرُّهُ ، ارتفعتْ حرارَتُهُ - الوغي : الحرب  
يقول الشاعر :نحنُ قومٌ نتحلِّي بالعقل متلبِّسين منه جلباباً لكننا في ميدان الحرب نقاتل  
الأعداء كالجائنين .

٩. إذا ادعوا جئت الدنيا مُصدِّقةً و إن دَعَوْا قالت الأيامُ : آمينا  
شرح البيت :إننا إذا أمرنا الدنيا بشيءٍ فلا يقدر علي معارضتنا وإذا أصدرنا الأوامر علي  
الدهر فلا يجراً علي مخالفة طلبنا و لا يجِدُ بداً إلّا إجابة أمرنا .

١٠. إنَّ الزَّرَازِيرَ لَمَّا قام قائمُها توهَّمت أنَّها صارت شواهينا  
المفردات :الزراير : مفردها الزرزور : طائر أكبر قليلاً من العصفور - شواهين : مفردها  
شاهين

قام قائمها : بُنيت قواها .  
هذه الأقوام الضعفاء لما أُستُحكمت أُسسُ حكومتهم قليلاً ، توهَّموا أنَّهم قادرون علي  
مخالفتنا و التسلط علينا، فهؤلاء الزرازير يظنون أنفسهم شواهين .  
١١. ظنَّت تأنِّي البُزاةِ الشُّهبِ عن جزعٍ و مادَّرت أنَّه قد كان تَهوينا

المفردات: التأنِّي : التمهّل ، عدم التسرّع - البُزاة : مفردها بازي : طائرٌ من فصيلة  
الصقريّات و هو سريع الطيران شديد الوثب مقدامٌ .

معني البيت :هؤلاء الأعداء يزعمون أنّ تمهلّنا كان وليد الخوف و الجزع و لايعرفون أن هذا الصبر و عدم التسرّع إلي تمزيقهم يحرضنا للإنقضاض عليهم و تدميرهم أكثر فأكثر .

١٢. إِنَّا لَقَوْمٌ أَبَتْ أَخْلَاقُنَا شَرَفًا      أن نبتدي بالأذي من ليس يؤذينا

المفردات :أبي : رَفَضَ ، لم يقبل

يقول الشاعر :إننا قومٌ لاتسمح لنا أخلاقنا أن نُبادرَ الي الحرب ضدّ الأعداء و أن نُسرّعَ إلي اإذاء الآخرين غير أنّنا نُحارب من يتعرّض لنا مُسبقاً .

١٣. بِيضٌ صَنَائِعُنَا ، سُودٌ وَ قَائِعُنَا      خُضْرٌ مَرَابِعُنَا ، حُمْرٌ مَوَاضِينَا

المفردات :بيضٌ :مفردها أبيض - الصنائع : مفردها صنعة : المعروف و الاحسان - سُود : مفردها أسود - الوقائع : مفردها الواقعة : المعركة - خُضْر : مفردها أخضر - المربع : مفردها المربع حُمْر : مفردها أحمر - المواضي : مفردها الماضي و هو السيف الصارم .  
يول الشاعر :اعمالنا حسنة و أخلاقنا طاهرة خلافاً لمعاركنا السوداء و المظلمة مع الأعداء .  
مرباعنا خصبة و كثيرة النبات و الغلة غير أنّ سطوتنا الصارمة مُحَمَّرَةٌ عن دماء الأعداء .

١٤. لا يَظْهَرُ الْعِجْزُ مَنَا دُونَ نَيْلِ مُنَى      و لو رأينا المنايا في أمانينا

المُني : مفردها : مُنْيَةٌ و هي الأُمْنِيَّة - المنايا : مفردها المنيّة و هي الموت - الأُماني : مفردها

الأُمْنِيَّة

معني البيت : لا تضعف عزيمتنا قبل الوصول إلى الغاية ولو كان الموت خفياً وراءها .

١٥. تدافعُ القَدَرُ المحتومَ همَّتُنَا عَنَّا ، وَ نَحْصِمُ صَرْفَ الدَّهْرِ لو شِينَا

شرح البيت : إن هممتنا و عزيمتنا تقدر علي محاصرة القدر الذي لا يُخاصم و تُمكنُ علي الأيام كما نريد .

و له قصيدة أيضا :

١. قَفِي وَدَعِينَا قَبْلَ وَشِكِ التَّفَرِّقِ فما أَنَا مَن يَحْيَا إِلَى حِينَ نَلْتَقِي

٢. قَضَيْتُ وَ مَا أُوْدِي الْحَمَامَ مُتَهَجِّي وَ شَبْتُ وَ مَا حَلَّ الْبَيَاضُ تَمْفَرِّقِي

٣. قَضَيْتُ لَنَا فِي الذَّلِّ فِي مَذْهَبِ الْهَوَى وَ لَمْ تَفَرِّقِي بَيْنَ الْمُنْعَمِ وَ الشَّقَى

٤. قَرَنْتِ الرُّضَى بِالسُّخْطِ وَ الْقُرْبَ بِالتَّوَي وَ مَزَقْتَ شَمْلَ الْوَصْلِ كُلَّ مُمَزَّقِ

٥. قَبَلْتَ وَصَايَا الْهَجَرِ مِنْ غَيْرِ نَاصِحٍ وَ أَحْيَيْتِ قَوْلَ الْهَجَرِ مِنْ غَيْرِ مُشْفِقِ

٦. قَطَعْتَ زَمَانِي بِالصَّدُودِ وَ زُرْتَنِي عَشِيَّةَ زُمْتَ لِلتَّرْحُلِ أَيْنُقِي

٧. قَضَيْ الدَّهْرُ بِالتَّفْرِيقِ فَاصْطَبِرِي لَهُ وَ لَا تَذْمِي أَعْمَالَهُ ، وَ تَرْفَقِي

٨. قَبِيحُ بِنَا ذُمُّ الزَّمَانِ ، وَ إِنْ جَنِّي إِذَا كَانَ فِيهِ مِثْلُ غَازِي بْنِ أَرْثُوقِ

٩. قوامٌ لدينِ الله قد حفظ الورى بعينٍ متى تنظرُ إلى الدهرِ يُطرقِ
١٠. قريبٌ إذا نودي ، بعيدٌ إذا إنتمى عبوسٌ إذا لاقى ، ضحوكٌ إذا لقي
١١. قَسَى قلبهُ جوداً علي المالِ فاغتدي يجور علي أمواله جَوْرَ مُحَقِّ
١٢. قَضَى بتلافِ المالِ في مذهبِ العطا فجَادَ إلي أن قال سائلُهُ : ارفُقِ
١٣. قريبٌ من الدّاعي ، فمن يبتغي نُصرةً يجِدُك ، و من يطلبُك في الضيقِ يلحقِ
١٤. قصدناك ، يا نجمَ الملوك ، لأننا رأينا الوري من بحرِ جودك تستقي
١٥. قطعنا إليك البیدَ نُهدي مدائحاً جواهرُها من بركِ المتدفقِ
١٦. قَدِمْتُ بمدحي زائراً ، فلقيتني بحُسنِ قبولٍ للرجاءِ مُحَقِّقِ

### شرح الأبيات :

١. قفي ودّ عينا قبل وشكِ التفرّقِ فما أنا من يحيا إلي حين نلتقي
- المفردات : وشك : قرب حدوث ، دنوّ
- يقول الشاعر : أيتها الحبيبة قفي و بادلي تحية الوداع قبل أن تمجرنا لأنني لا أحيي إلي زمنٍ الأقيك من جديد .
٢. قضيتُ و ما أودي الحمام .مُهجتي و شبتُ و ما حلّ البياضُ .تمفرقي
- المفردات : قَضَى : مات ، توفّي - الحمام : الموت - أودي بِ : أهلك ، أَمات - المُهجة : الروح
- معني البيت : متٌ دونَ أن يُهلكني الموتُ و شبتُ دونَ أن يبيضَ الشَّعرُ برأسي .

٣. قضيت لنا في الذلّ في مذهب الهوي و لم تفرقي بين المنعم و الشقي

المفردات : قضى في : حكم

معني البيت : حكمت علينا في حبك بالتسليم بين يديك و ما فرقت في حكمك

بيننا من الغني و الفقير

٤. قرنت الرضي بالسخط و القرب بالتوي و مزقت شمل الوصل كل ممزق

مفردات : السخط : الغضب ، عدم الرضا - التوي : الفراق

شرح البيت : أيتها الحبيبة! إنك لا تعاشرين مع العشاق باللين و الرأفة و هذا ما

يزيد من رضاهم حالما تهجرينهم و تعرضين عنهم فيشعرون بقرابة اكثر من

السابق اليك، فأخيراً غادرت العشاق مغادرةً و لا ترجعين إليهم .

٥. قبلت وصايا الحجر من غير ناصح و أحييت قول الحجر من غير مشفق

معني البيت : قبلت نصيحة من كان غير صادق في نصيحه و رضيت علي

هجرنا بإرشاده غير صالح .

٦. قطعت زماني بالصدود و زرتني عشية زمت للرحل أيتقي

المفردات: الصدود: الإعراض و الإمتناع عن الشيء - زمت : شدت - أيتق:

مفردتها ناقه

معني البيت :أعرضت عني و قطعت وصالي و زرتني ليلة الفراق حين اذ شددت

الأحمال علي النياق و هيأت أمتعة السفر .

٧. قضى الدهر بالتفريق فاصطبري له ولا تدمي أفعاله ، و ترفقي

معني البيت :حكم الدهر علينا بالفراقِ فلاطفه و اصطبري لحكمه ولا تلومينه علي ما فعلَ .

٨. قبيحُ بنا ذمُّ الزَّمانِ ، و إن جَنِّي إذا كان فيه مثلُ غازي بن أُرْتُقِ

معني البيت : لا يحسن بنا أن نقبح الزمانَ و لو ظَلَمنا لأنَّه يعيش فيه ملك مثل غازي بن أُرْتُقِ .

٩. قوامٌ لدينِ الله قد حفظ الورَى بعينٍ متي تنظرُ إلي الدهرِ يُطرقِ

يطرق : يميل رأسه إلي الأرض .

شرح البيت : فهو الذي يحرس دين الله و يحميه و يحافظ علي الناس بعينٍ حينما تنظر الي الدهر ، يغضّ الدهر من أبصاره حياءً لها .

١٠. قريبٌ إذا نودي ، بعيدٌ إذا إنتمي عبوسٌ إذا لاقى ، ضحوكٌ إذا لُقي

يقول الشاعر: هو قريبٌ لمن يستعينه و يلجأ اليه لكنّه بعيدٌ عمّن ينشب اليه نسبه

و يُشبه نفسه به شرفاً، فهو في الحروب عبوسٌ و متهجمٌ حالماً في اللقاءِ مع

الاصدقاء ضحوك و بشوش .

١١. قَسِي قلبهُ جوداً علي المالِ فاغتدي يجور علي أمواله جَوْرَ مُحَنَقِ

المفردات : المُحنَق : الغاضب

معني البيت :هذا الملك قسيُّ القلب علي أمواله عطاءً للناسِ فهو الذي يظلم علي

أمواله غاضباً و يعطيها للسائلين .

١٢. قَضَي بتلافِ المالِ في مذهبِ العطا فجَادَ إلي أن قال سائلُهُ : ارفُقِ



معني البيت : قد عزم الملك أن يتلفَ أمواله في سبيل الجود و الكرم فيجود علي  
الفقراء يشبعون و يريدون كُفَّهُ .

١٣. قريبٌ من الدّاعي ، فمن يبتغي نُصرةً يجِدك ، و من يطلبك في

الضيقِ يلحقِ

يقول الشاعر : أنت قريبٌ مَن يَسْتَعِينُك و حاضرٌ عنده كلُّما يناديك فكلٌّ من  
يدعوك في مصيبةٍ يصل غايتهُ و يجِدك بجانبه .

١٤. قصدناك ، يا نجمَ الملوك ، لأننا رأينا الوري من بحر جودك تستقي

معني البيت : يا نجمَ الملوك اتَّجهنا نحوك لأننا رأينا الناس يشربون من بحر كرمك و  
يرتوون .

١٥. قطعنا إليك البید نُهدي مدائحاً جواهرها من برك المتدفق

المفردات : البید : مفردها البیداء - تدفقَ : اندفعَ بغزارةٍ و قوّةٍ

يقول الشاعر : طوينا الصحاري الخطرة و المسافات البعيدة نحوك لنهديك هذه  
المدائح الثمينة التي تشبه جواهرها بعقود بحرك المتدفق .

١٦. قدِمْتُ بمدحي زائراً ، فلقيتني بحُسنِ قبولٍ للرجاء مُحققٍ

و يقول : حتي تشرّفتُ بزيارتكم و عرضتُ عليكم مدائحي و انت ايها الملك  
الكریم تفضّلتَ بقبولها و ما خيّتَ رجائي .

## ٧. ابن نباته (٦٨٦-٧٦٧هـ)

" يعتبر ابن نباته شاعر مصر الكبير، امير الشعر و الشعراء في عصر دولة المماليك البحريه ... و هو احقّ الشعراء المصريين في العصور الوسطي بالدراسة و النقد... و هذه الدراسة علي ايجازها تحتوي علي توضيح خصائص الشاعر و سماته الفنية و رسم صورة كاملة لشخصيته الاجتماعية و الفكرية .  
° "

بما حاز ابن نباته من المكانة بين الشعراء و الكتاب في هذا العصر ، نتطرق الي بعض النقاط حوله و حول حياته و ما كان قد جري فيه :

لابن نباته ديوان شعر طبع في مصر سنة ١٢٨٨ هـ و ايضا ديوانه المعروف بالمؤيدات " .

من الممكن ان نشير الي اسباب هامة تؤدي الي شاعرية ابن نباته :

- الولادة و العيش في اسرة مشهورة بالعلم و الادب . فكان والده استاذ الاول اخذ عنه العلوم و

الاداب .

- البيئة السائدة آنذاك ، فالقاهرة زاخرة بالادباء و الشعراء الذين حببوا الشعر .

- الشقاوة و الفقر و الحزن النفسي العميق لديه و خاصة لفقد اولاده.

- منافساته و مساجلاته الادبية و مطارحاته الشعرية مع طبقة من الشعراء و الادباء .

- الموهبة الادبية التي كانت لديه و ملكته الشعرية العريقة

و اما شاعريته و الفن الشعري لديه :

---

- خفاجي ، محمد عد المنعم ، ص ٥١١

يعدّ النقاد ابن نباتة من اعلام عصره و حامل لواء الفن الجديد بمصر و الشام . و هذا اللقب يجدر به و الحق انه بلغ الغاية في اجادة الصنعة البديعية حيث اصبح العلم المفرد بها .

الاستعداد الفطري الموجود فيه و الذوق السليم الدقيق ، و القدرة علي صوغ النكت و الترشيح لها و الاهتمام الي قراءة ادب القاضي الفاضل من مساعدته في الطريق .

كثرة انتقاله الي الشام تأثر في اتساع مدي فكرته الشعري و هو يدرك جمال الشعر و كان يعلم ما في استعدادده و موهبته الشعرية و تشير اليه في كثير من اشعار حيث لا تكاد تخلو له قصيدة من الاعجاب به :

من مبلغ العرب عن شعري و دولته      ان ابن عباد باق و ابن زيدونا  
حبرتها فيه زهراء المعاطف من      اعلي و انفس ما يهدي المجيدونا....

المدح ، الغزل ، الخمريات ، الرثاء ، الهجاء ، وصف البؤس و الحرمان في حياته، الحنين الي وطنه ، من  
الاغراض الشعرية الخاصة لدي ابن نباتة .

فقد مدح الملوك و العلماء و اصحاب النفوذ في عصره ، و ايضاً مدح الرسول (ص) . فمن مدائح في  
الرسول :

كان الوري في حيرة حتي أتي      بجلي اخبار وعاما من يعي  
من سفح عدنان التي شرفت به      مع ذلك الشرف القديم المهيع

ما البدر في صدر السماء كسناه في      قلب الخميس و لا بصدر الجمع ...

له قصيدة سماها " مصايد الشوارد " تقع في ١٦٧ بيتاً في بحر الرجز ، و قلده فيه بعض  
الشعراء العباسيين ، مثل ابن المعتز و ابي نواس . منها:

حتى نزلنا بمكان مونق اخوان صدق احدثوا بالمحملق

فيا له في الحسن من محل مراد جسد و مراد هزل

للطير من مياحه مواقع كأنها من فوقه فواقع ...

شعره تتسم بالقوة و التعدد و التلوين و حسن السبك و تعدد صناعته اللفظية اقدم و يعتبر ابن نباتة اماماً في الطريقة الفاضلية .(منسوباً الي القاضي الفاضل ) . الوان البديع و التضمين و حسن التعليل و براعة الاستهلال في شعره كثيرة و اجاد فيها و عكف علي مذهب القاضي و طريقته و كثيراً ما يستعمل الالفاظ البلدية و الاساليب السوقية . لكن " توجد في شعره العيوب و الاخطاء ؛ من اخطا، وقع فيها من ضرورات شعرية و من حشو و من اسفاف في الصناعة البديعية و من اساليب و معان عامية مبتذلة و من هنات لغوية " ٦ له ايضاً النثر. نثره في بليغ . فبلغ فيه مبلغ ن يجعل نثره حسن النسيج و كثير الجمال الفني . و أما آثاره الأدبية : ديوان شعر ،مطلع الفوائد و مجمع الفرائد (في الادب ) ، شرح العيون (في شرح رسالة ابن زيدون الهزلية ، خبز الشعير ( في تعداد سرقات الصفدي من شعره ) ، الفاضل من انشاء القاضي الفاضل ( مجموعة رسائل انشائية اجتبها ابن نباتة من بين رسائل القاضي ) ،سلوك دول الملوك ، القطر النبائي ( المقطوعات الشعرية الغزلية ) ، منتخب الهدية ( في المدائح النبوية ) و مناظر تجري علي لسان السيف و القلم التي اوردها ابن حجة في خزانته .

و قد توفي ابن نباتة بمصر سنة ٧٦٧ هـ / ١٣٦٦ م .

---

- خفاجي ، محمد عبد المنعم ، ص ١٣٠ ٦

يقول ابن نباتة يرثي الملك المؤيد ويمدح ابنه الملك الأفضل:

١. هناءٌ مَحَيَّ ذاك العزاءَ المقدَّما
٢. ثغورٌ ابتسامٍ في ثغورٍ مدامعٍ
٣. نردُّ مجاري الدَّمعِ والبِشْرِ واضحٌ
- هَمِي
٤. سَقَى الغَيْثُ عَنَّا تربةَ الملك الذي
٥. و دَامَتْ يَدُ النُّعْمَى علي الملك الذي
٦. مليكان هذا قد هوي لضريحه
٧. فَقَدْنَا الأعناق البريةَ مالكا
٨. كِإِنْ ديارُ الملكِ غابٌ إذا انقضي
٩. فَإِنْ يَكُ مِنْ أَيُّوبَ نَجْمٌ قد انقضي
١٠. عَلَيْكَ سَلامُ اللَّهِ ما ذرَّ شارِقٌ
١١. هو الغيثُ وَلِيَّ بالثناءِ مُشيعاً
١٢. يَراعُكَ يَوْمَ السَّلامِ يَنهَلُ دِمةً
١٣. فَعِشْ للوَرَى ، و اسَلِّمْ سعيداً مُهنَّاً
- فما عبس الحزونُ حتَّى تبسَّما
- شبيهان لايمتازُ ذو السبقِ منهما
- كوابِلِ غِيثٍ في ضُحَى الشَّمْسِ قد
- عهدنا سجاياهُ أَبَرَّ وأَكرَما
- تدانتُ لَهُ الدنيا و عَزَّتْ بِهِ الحِمَى
- بِرُغْمِي ، و هذا للأسرةِ قدسما
- و شِمْنَا لأنواعِ الجميلِ مُتَمِّما
- بِهِ ضِغْمٌ أَنشَأَ بِهِ الدَّهْرُ ضِغْمَا
- فقد أَطلعتْ أوصافُكَ العُرُ أُنْجَما
- و رَحْمَتُهُ ما شاءَ أَنْ يترَحَّما
- و أَبْقاكَ بَحْراً للمواهبِ مُنْعَما
- و سِيفُكَ يَوْمَ الحربِ يَنهَلُ في الدِّما
- فحظُّ الوَرَى في أَنْ تعيشَ و تَسَلِّما

### شرح الأبيات :

١. هناءُ مَحَيَّ ذاك العزاءَ المقدِّما      فما عبس المحزونُ حتَّى تبسَّما

يقول الشاعر : إنَّ السرور و السعادة بسبب توليِّك الحكم أنسانا العزاءَ لسبب وفاة والدك .  
فما لبث حتَّى تحوَّل الحزن إلى الفرح و السرور .

٢. ثغورُ ابتسامٍ في ثغورِ مدامعٍ      شبيهان لايمتازُ ذو السبقِ منهما

المفردات: ثغور : مفردھا ثغر.معني شقّ و خرق من جانب إلى آخر و هنا.معني فم ، مَبْسَم  
معني البيت: النَّاس أفواههم مبتسمة و أعينُّهم باكية ، فرحهم لتوليِّك الحكم لايقُلَّ عن  
حزَنهم لفقد والدك .

٣. نرْدُ مجاري الدَّمع و البِشْرُ واضحٌ      كوابلِ غيثٍ في ضُحي الشَّمس قد هَمي

المفردات : رَدَّ : رَجَعَ ، مَسْشَحَ - الوابل : العزيز ، الشديد - الغيث : المطر - همي : سال  
، جري

يقول الشاعر :نمسح الدموعَ عن وجهٍ مسرورٍ بشاشته واضحةً فكم يشبه الحال بمنظر نزول  
المطر بغزارةٍ و الشَّمس مشرقةً وقت الضُّحي .

٤. سَقَيَ الغَيْثُ عَنَّا تربةَ الملك الذي      عهدنا سجاياهُ أبْرَّ و أكرما

المفردات: سَقَى : روي - تربة : قبر - عهدنا : عرفنا-سجّيا : مفرد لها سَجِيّة و هي الخُلُق و

الصفة الحميدة

شرح البيت: ندعوا الله تعالى أن يروي قبرَ مَلِكنا الفقيد بأَمْطاره العزيزة بدلاً عَنّا فهذا الملك الذي عرفناه اكثر الناس برّاً و كرمّاً

٥. و دامت يدُ التُّعمي علي الملكِ الذي تدانت له الدنيا و عزّت به الحِمّي

المفردات: الحِمّي : الوطن ، الدار ، الحريم و كل ما يُحمي و يدافع عنه .

يقول الشاعر: و ندعوا الله تعالى أن تدوم التَّعمِ الوافرة علي الملك الجديد . الملك الذي ذلّت أُمَامَه الدنيا و افتخر به الوطن و الاحرباء .

٦. مليكان هذا قد هوي لضريحه برُعمي ، و هذا للأسرة قدسما

المفردات : برُعمي : علي كُرهٍ مَنّي - للأسرة : من حسن حُظُنّا

يقول الشاعر : هما ملكان : واحد منهما قد حُرِمنا مِن سيادته علي كرهٍ مِنّا و الآخر إنّك أيّها الملك قد جلستَ من حسن حُظُنّا علي عرش الحكومة .

٧. فَقَدْنَا الأعناق البريّة مالِكاً و شِمنا لأنواع الجميل مُتَمِّماً

المفردات : البرية : الخلق - شِمنا : ترقَّبنا ، توقَّعنا -الجميل : المعروف

معني البيت:فقدنا مَلِكاً كان يملك رقابَ الناس و حظينا بملكٍ نتوقَّع منه أنواع المعروف والإحسان.

٨. كَأَنَّ دِيَارَ الْمَلِكِ غَابَ إِذَا انْقَضَى بِهِ ضِيغٌ أَنْشَأَ بِهِ الدَّهْرُ ضِيغَمَا

المفردات: الضيغ : الأسد

شرح البيت: أن أرض حكومتكم تشبه غابة من الأسود ، فإذا مات منكم ملكٌ كالأسد يُحلُّ الدهرُ أسداً آخرَ محله .

٩. فَإِنْ يَكُ مِنْ أَيُّوبَ نَجْمٌ قَدْ انْقَضَى فَقَدْ أَطْلَعَتْ أَوْصَافُكَ الْغُرَّ أَنْجُمًا

المفردات: الغُرّ : الكريم ، الشريف

معنى البيت: صحيحٌ أن والدك و هو يشبه النجم رفعةً و كرامةً قد فقدناه لكنك أيها الملك تشبه النجوم المرصعة لِخُلُقِكَ الحميدة .

١٠. عَلَيْكَ سَلَامُ اللَّهِ مَا ذَرَّ شَارِقٌ وَ رَحْمَتُهُ مَا شَاءَ أَنْ يَتَرَحَّمَا

المفردات: ذرّ : طَلَعَ

معنى البيت: أيها الملك الفقيد ، سلام الله و رحمة عليك مادامت الشمسُ شارقةً و مادامت رحمة تعالي دائمةً .

١١. هُوَ الْغَيْثُ وَلَّى بِالْثَنَاءِ مُشِيْعًا وَ أَبْقَاكَ بَحْرًا لِلْمَوَاهِبِ مُنْعَمَا



المفردات :وَلَّى : أَدَبَر ، رَجَعَ - مَشِيعاً : مَوَدَّعاً -المواهب : مفردها الموهبة و هى الرحمة و

البركة

يقول الشاعر: كان والدُك مَلِكاً كريماً سخياً كالْمَطَرِ فتوفِّي مودَّعاً بالدَّعاء و الثناء و أبقاك

بيننا و انت البحر في السخاء و الكرم .

١٢. يَراعُك يومَ السَّلمِ يَنهَلُ دِمْيةً و سيفُك يومَ الحربِ يَنهَلُ في الدِّماءِ

المفردات :اليراع : القَلَم - يَنهَلُ : يَسْكُب شِدَّة -الدِّمْية : مطر يدوم في سكون بلا رعد و

لا برق . معني البيت :انَّ قلمَكَ في وقت السلم يهب العطاء و الصلات و سيفك في الحرب

مع الاعداء يسفك الدماء .

١٣. فَعَشَ لِلوَرَي ، و اسَلَمَ سعيداً مُهنَّاً فحظُّ الوَرَي في أن تعيشَ و تَسَلِّما

المفردات : الوَرَي : الخلق

يقول الشاعر : حياك الله أيُّها الملك النافع الناس و بارك الله فيك مُلكك ، فتولِّيك الحكم و بقاءك

عليه خيرٌ للخلق جميعاً .

٨. ابن الوردي (٦٨٩ - ٧٤٩ هـ)

زين الدين ابو حفص عمرو بن مظفر بن عمر بن محمد بن ابي الفوارس المعري البكري المشهور بابن  
الوردي ، الفقيه و النحوي والمؤرخ و الشاعر من الشعراء القرن الثامن الهجري ولد سنة ٦٨٩ هـ  
(١٢٨٩م) في المعرة غرب مدينة حلب بالشام. عاش زمن المماليك و توجه الي الشعر و الادب و النحو  
و الفقه و التاريخ و كتب مصنفات عديدة فيها و اشتهر بالزهد و الروع و له مهابة في قلوب معاصريه .  
انكبّ علي العلم و هو في الفقر و الإملاق و إكتسب العلوم المختلفة و حاذق فيها . تولي القضاء في  
منبج و حلب و شيزر. ثم ما لبث ان ترك ذلك و كتب ابياتاً في القضاء ثم اشتغل بالتعليم و التأليف حتي  
شاع ذكره في البلدان .

له كتب كثيرة في موضوعات مختلفة ، منها في النحو : " تتمّة المختصر في اخبار الشعراء " التي كتبها  
شرحاً علي " المختصر في اخبار الشعر " لابي الفداء . " اللباب في الإعراب " و " شرح الفية ابن مالك " و  
" شرح الفقيه " لابن المعطي .

و من آثاره الاخرى البهجة الوردية ، المسائل الذهبية ، ارجوزة غزلية و ديوان شعره .  
" رسالة السيف و القلم " و " المقامة الصوفية " و " لاميته " من اشعاره المشهورة . لكن الاخيرة  
نالت بشهرة كثيرة بما فيها من الوعظ و الحِكم حيثما اشتهر بـ "لامية ابن الوردي " . انشدها في ٧٧  
بيتاً . منها :

اعتزل ذكر الاغاني و الغزل	و قُل الفصلَ و جانبَ مَنْ هَزَل
ودع الذكرَ لأيّام الصبّا	فلأيّام الصبا نجمٌ أفل
واهجرُ الخمرة إن كنت فتى	كيف يسعي في جنونٍ مَنْ عَقَل
و اتّق الله ، فتقوي الله ما	جاورتُ قلبَ امرئٍ إلّا وصل

ليس مَنْ يقطعُ طُرْقاً بطلاً<sup>٧</sup> إنما مَنْ يَتَّقِي اللَّهَ بطل<sup>٧</sup>

فهذا الغزل يتجلى فيه الحكمة و الوعظ منبثقان من عمق معرفة و حنكة ناشده و يمكننا ان نقول  
اصبح نموذجاً حكماً عند العرب جاريةً علي ألسنة الناس و هذا تدل علي سعة معرفته لاخلاق الناس  
و احوال الدنيا و ماجري فيه. حكمته تجلو من الروعة الادبية لكن فيها دستور اخلاقي يشمل آداب  
النفس و المعاملة و لها ايضاً صبغة التفاؤل و التسمية الدينية .

يظهر في شعره الجمود و التسلسل الضعيف و البُعد عن اي انطلاق في عالم الخيال بينما فيه السلاطة و  
السهولة اللتين تعجبان القاري<sup>٨</sup>.

توفي ابن الوردي شاعر الحكمة و النصح سنة ٧٤٩ هـ بالطاعون.

## لامية ابن الوردي

1. إعتزل ذكر الاغانى و الغزل  
و قل الفصلَ و جانبَ مَنْ هَزَل
2. و دَعِ الذِّكْرَ لَأَيَّامِ الصَّبَا  
فلأَيَّامِ الصَّبَا نَجْمٌ أَفَل
3. و اهْجُرْ الخمرَ إِن كنتَ فتى  
كيف يسعي في جنونٍ مَنْ عَقَل
4. و اتَّقِ اللَّهَ فتقوي اللَّهَ ما  
جاوَرَتَ قلبَ امرئٍ إِلَّا وَصَل
5. ليسَ مَنْ يقطعُ طُرْقاً بطلاً<sup>٨</sup>  
إِنَّمَا مَنْ يَتَّقِي اللَّهَ بَطَل

- حنا الفاخوري، الجامع ص ١٠٤٨  
- همان / ص ١٠٤٩ - ١٠٤٨ با تصرف<sup>8</sup>

٦. أَيْنَ مَنْ سَادُوا وَ شَادُوا وَ بَنُوا  
هَلَكَ الْكُلُّ وَ لَمْ تُغْنِ الْقُلُلُ
٧. أَيْنَ أَرْبَابُ الْحِجِيِّ أَهْلُ النُّحْصِي  
أَيْنَ أَهْلُ الْعِلْمِ وَ الْقَوْمُ الْأَوَّلُ
٨. سَيَعِيدُ اللَّهُ كُلًّا مِنْهُمْ  
وَ سَيَجْزِي فَاعِلًا مَا قَدْ فَعَلَ
٩. يَا بُنَيَّ اسْمَعْ وَصِيَا جَمَعَتْ  
حِكْمًا خُصَّتْ بِهَا خَيْرُ الْمَلَلِ
١٠. أَطْلُبِ الْعِلْمَ وَ لَا تَكْسِلْ فَمَا  
أَبْعَدَ الْخَيْرَاتِ عَنْ أَهْلِ الْكَسَلِ
١١. لَا تُقِلْ قَدْ ذَهَبَتْ أَيَّامُهُ  
كُلُّ مَنْ سَارَ عَلَى الدَّرْبِ وَصَلَ
١٢. فِي ازْدِيَادِ الْعِلْمِ أَرْغَامُ الْعِدِيِّ  
وَ جَمَالُ الْعِلْمِ أَصْلَاحُ الْعَمَلِ
١٣. إِطْرَحِ الدُّنْيَا فَمِنْ عَادَاتِهَا  
تَخْفِضُ الْعَالِي وَ تُعَالِي مَنْ سَفَلَ
١٤. كَمْ مَجْهُولٍ بَاتَ فِيهَا مُكْثَرًا  
وَ عَلِيمٍ بَاتَ مِنْهَا فِي عِلَلٍ
١٥. كَمْ شَجَاعٍ لَمْ يَنْلِ فِيهَا الْمُنَى  
وَ جَبَانٍ نَالَ غَايَاتِ الْأَمَلِ
١٦. لَا تُقِلْ أُصْلِي وَ فَصْلِي أَبَدًا  
إِنَّمَا أَصْلُ الْفَتَى مَا قَدْ حَصَلَ
١٧. قِيَمَةُ الْإِنْسَانِ مَا يَحْسُنُهُ  
أَكْثَرُ الْإِنْسَانِ مِنْهُ أَمَّ أَقَلِّ
١٨. جَانِبِ السُّلْطَانِ وَ أَحْذَرِ بَطْشَهُ  
لَا تُعَانِدْ مَنْ إِذَا قَالَ فَعَلَ
١٩. لَا تَلِ الْحُكْمَ وَ إِنْ هُمْ سَأَلُوا  
رَغْبَةً فَيَكْ وَ خَالَفَ مَنْ عَدَلَ
٢٠. إِنْ نَصَفَ النَّاسَ أَعْدَاءُ لِمَنْ  
قَدْ وَلِيَ الْحُكْمَ وَ هَذَا إِنْ عَدَلَ
٢١. فَالْوَلَايَاتُ وَ إِنْ طَابَتْ لِمَنْ  
ذَاقَهَا فَالْسُّمُ فِي ذَاكَ الْعَسَلِ
٢٢. قَصِّرِ الْأَمَالَ فِي الدُّنْيَا تَقْزُ  
فَدَلِيلُ الْعَقْلِ تَقْصِيرُ الْأَمَلِ
٢٣. إِنْ مَنْ يَطْلُبُهُ الْمَوْتُ عَلِي  
غَرَّةٌ مِنْهُ جَدِيرٌ بِالْوَجَلِ

## شرح الابيات:

1. إعتزل ذكر الاغانى و الغزل و قُل الفصلَ و جانبَ مَنْ هَزَلَ

المفردات : إعتَزَلَ : جانب ، أترُك ، إبتعد - الأغانى : مفردها الأغنية : الألحان المطربة  
معني البيت: إبتعد عن مجالس الغناء و الرقص و اجتنب عنها اجتناباً و لاتعاشِر مع مَنْ يهزل  
في كلامه كثيراً .

٢. و دَعِ الذِّكْرَ لآيَامِ الصَّبَا فلأيام الصِّبا نجمٌ أَفَلْ

المفردات : الصِّبا : الشباب

يقول الشاعر :و أنسَ ذكرَ آيَامِ الشبابِ و الحبِّ . لأنَّها قد إنتهت و أَفَلَ نجمُها و يعودَ  
ثانيةً

٣. و اهجرُ الخمرَ إِنْ كُنْتَ فَتًى كيف يسعى في جنونٍ مَنْ عَقَلَ

المفردات : يَسْعَى : يحاول

شرح البيت :و اعْرِضْ عن شرب الخمرِ إِنْ كُنْتَ إنساناً كريماً و شريفاً ، فالعاقل لا يحاول  
أن يضيعَ عقله و يكتسبَ الجنون .

٤. و اتَّقِ اللَّهَ فَتَقْوِيَ اللَّهَ مَا جاورَتْ قلبَ امرئٍ إلَّا وَصَلَ

معني البيت:و احشَ مِنَ اللَّهِ تعالي فالخشية منه تؤدِّي إلي الوصول الغايات

٥. ليسَ مَنْ يقطعُ طُرُقاً بطلاً      إنّما مَنْ يتَّقِي اللهَ بَطْلاً

المفردات: مَنْ يقطعُ طُرُقاً : السارق ، التّاهب

يقول الشاعر: ليس السارقُ و التّاهبُ بطلاً فالبطال هو الذي يخاف من الله و يخشاه .

٦. أينَ مَنْ سادوا و شادوا و بنّوا      هلك الكلُّ و لم تُغنِ القُللُ

المفردات: سادَ : يَسْطَرُ ، حَكَمَ - شادَ : بني ، رَفَعَ - القُللُ : مفردُها قُلَّة و المادهنا الرفعة و السموّ في المقام .

شرح البيت: أين اولئك الذين سيطروا علي الحكم و رفعوا القصور و بنّوا البنايات الفخمة الواسعة ، قد فَنَيَ الجميع دون أن يفيدهم المقالات الرفيعة .

٧. أينَ أربابُ الحِجِّي أهلُ النُّهي      أينَ اهلُ العلمِ و القومُ الأوّل

المفردات : الحِجِّي : العقل ، الفطنة - النُّهي : العقل

معني البيت: أين اهل الفطنة و العقلاء و أين العلماء و الأوّلون ؟

٨. سيعيدُ اللهُ كلّاً منهمُ      و سيجزي فاعلاً ما قد فعّل

يقول الشاعر: سيرجع الله الجميع إلي دار البقاء و سيكافئهم لما فعلوا .

٩. يا بُنَيَّ اسمع وصيا جمعت      حكماً خُصَّتْ بها خيرُ الملل

يقول الشاعر: يا بُنَيَّ اسمع هذه الوصايا الثمينة التي تتضمن حكماً تتعلق بخير الأمم و  
الشعوب .

١٠. اُطْلُبِ الْعِلْمَ وَ لَا تَكْسَلْ فَمَا أَبْعَدَ الْخَيْرَاتِ عَنْ أَهْلِ الْكَسَلِ  
يقول الشاعر: يا بُنَيَّ كُنْ سَاعِياً فِي طَلَبِ الْعِلْمِ وَ لَا تَكُنْ خُمُولاً فِي تَحْصِيلِهِ . لِأَنَّ النِّجَاحَ  
مَتَبَاعِدٌ عَنِ الْكَسَالَى .

١١. لَا تَقُلْ قَدْ ذَهَبَتْ أَيَّامُهُ كُلُّ مَنْ سَارَ عَلَى الدَّرْبِ وَصَلَ  
المفردات: الدَّرب : الطريق  
معني البيت: لَا تَظُنَّ بِأَنَّهُ قَدْ إِنْتَهَتْ أَيَّامُ تَحْصِيلِ الْعِلْمِ فَكُلُّ مَنْ عَزَمَ طَيَّ الطَّرِيقَ وَ سَارَ عَلَيْهِ  
يَصِلُ غَايَتَهُ .

١٢. فِي ازْدِيَادِ الْعِلْمِ أَرْغَامُ الْعَدِيِّ وَ جَمَالُ الْعِلْمِ أَصْلَاحُ الْعَمَلِ  
المفردات: الإِرْغَامُ : الإِذْلَالُ - الْعَدِي : مَفْرَدُهَا الْعُدُوّ وَ جَمْعُهَا الْأَعْدَاءُ  
شرح البيت: إِنَّ فِي زِيَارَةِ الْعِلْمِ إِذْلَالَ الْأَعْدَاءِ فَكُلَّمَا يَزْدَادُ عِلْمُ الْإِنْسَانِ تَذَلُّ الْأَعْدَاءِ وَ  
تَضَعُفُ شَرِيطَةُ أَنْ يَتَزَيَّنَ الْعِلْمُ بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ .

١٣. إِطْرَحِ الدُّنْيَا فَمِنْ عَادَاتِهَا تَخْفِضُ الْعَالِي وَ تُعَالِي مَنْ سَفَلَ

المفردات: تُخَفِّضُ : تَحْطُّ مِنْ عُلُوٍّ إِلَى أَفْسَلٍ - تُعَالِي : تُرْفِعُ

يقول الشاعر: إِقْذِفِ الدُّنْيَا إِلَى جَانِبٍ وَ لَا تَعْتَمِدِ عَلَيْهَا فَمَنْ عَادَتْهَا السَّيِّئَةُ هِيَ أَنْ تُخَضَّعَ  
الْكَرَامَ مِنَ النَّاسِ وَ تُرْفَعَ الْأَرَادِلَ .

١٤. كَمْ مَجْهُولٍ بَاتَ فِيهَا مُكْثَرًا      وَ عَلِيمٍ بَاتَ مِنْهَا فِي عِلَلٍ

المفردات: المُكْثَرُ : الغنيّ

شرح البيت: كَمْ مِنْ أُنَاسٍ مَجْهُولٍ أَصْبَحَ فِي الدُّنْيَا غَنِيًّا وَ كَمْ مِنْ عَلِيمٍ وَقَعَ فِي فَخٍّ الْبَلَايَا وَ  
الْمَتَاعِبِ

١٥. كَمْ شَجَاعٍ لَمْ يَنْلِ فِيهَا الْمُنَى      وَ جَبَانٍ نَالَ غَايَاتِ الْأَمَلِ

معني البيت: كَمْ مِنْ رَجُلٍ جَرَى ثَابِتَ الْقَلْبِ مَا وَصَلَ إِلَى مَنَاهُ وَ كَمْ مِنْ جَبَانٍ خَائِفٍ  
أَدْرَكَ غَايَاتِهِ الْبَعِيدَةَ وَ مَنَائِيهِ الْمُسْتَحِيلَةَ .

١٦. لَا تُقِلْ أَصْلِي وَ فَصْلِي أَبَدًا      إِنَّمَا أَصْلُ الْفَتَى مَا قَدْ حَصَلَ

المفردات: الفصل: ما يَفْرَقُ بَيْنَ شَخْصٍ وَ آخَرَ وَ يُمَيِّزُ هُمَا بَعْضًا عَلَيَّ بَعْضَ

معني البيت: لَا تَفْتَخِرْ بِآبَائِكَ وَ أَجْدَادِكَ وَ بِمَا يَفْضُلُكَ عَنِ الْآخَرِ نَسَبًا ، إَعْلَمْ أَنَّ مَصْدَرَ  
الْفَخْرِ وَ الدِّصَالَةِ لِلرَّجُلِ هُوَ أَفْعَالُهُ الصَّالِحَةُ وَ حَصِيلَةُ الْحَسَنَةِ .



١٧. قيمةُ الإنسان ما يحسنُهُ أكثرُ الإنسانُ منه أم أقلُّ

معني البيت: إنَّ قدرَ الإنسان و قيمته يتعلَّق بأعماله الحسنة ، فإذا أكثر فيها يرفع قدره و إذا أخفَّ فيها فينقص قدره .

١٨. جانبِ السلطانِ و أحذرَ بطشه لا تُعاندَ من إذا قال فعَل

المفردات: لاتعاند : لاتعارض

شرح البيت :إعتزل عن السلطانِ واحذر شدته و لا تعارض الحاكم لأنَّه ينفذ أوامره القاسية عليك إذا أراد .

١٩. لاتلِ الحكمَ و إن هم سألوا رغبةً فيك و خالفَ من عدل

يقول الشاعر :لا تقبل أمرَ الحكومة و لو طلبوا منك حباً لك و عارض من يلومك علي رفض طلبهم .

٢٠. إنَّ نصفَ الناس أعداء لمن قد ولي الحكم و هذا إن عدل

يقول الشاعر: إنَّ نصفَ الناس يعادون من يقولي الحكم و لو كان الحاكم عادلاً معهم .

٢١. فالولاياتُ و إن طابت لمن ذاقها فالسُّمُّ في ذاك العسل

معني البيت: فالحكومة لمن يتذوقها لا تطيبُ لأنَّ السُّمَّ كامِنٌ في لذَّةِ العسل .

٢٢. قَصَّرَ الآمالَ في الدنيا تَفُزُ      فدلِيلُ العقلِ تقصِيرُ الأملِ

معني البيت: قَلِّلْ مِنْ آمالكِ في الدنيا تَظْفَرِ في العاقبةِ وَ تَسُدْ ، فَقَلَّةُ الآمالِ تدلُّ علي زيادةِ العقلِ .

٢٣. إِنَّ مَنْ يَطْلُبُهُ الموتُ علي      غِرَّةٍ مِنْهُ جَدِيرٌ بِالوَجَلِ

المفردات : غِرَّةٌ : غفلة - الوجَل : الخوف ، الفَزَع

شرح البيت: كُلُّ مَنْ يدركه الموت علي حين غفلة مِنْهُ جَدِيرٌ أَنْ يُخَافَ عليه

#### ٩. بهاء الدين البهائي (ت ٨١٥هـ)

أديب له شعرٌ، عاش بدمشق و توفي فيها سنة ٨١٥هـ، و هو من أَصْلِ تركيٍّ من المماليك، زار القاهرة مراراً .

#### رثاء دمشق

عاد الخطر المغولي إلى الظهور و هاجم تيمور لُنك سورية في عهد المماليك الشراكسة، بعد أن كان قد دَوَّخَ المشرق حتَّى وصل إلى الهند، و استولت جيوشه على حلب سنة ٨٠٣هـ/١٤٠١م و هدم المساجد و المدارس التي كان قد بناها الزنكيون ثم اتجه إلى دمشق بعد أن استولى في طريقه على حماة و حمص و

بعلبك، و انهزم أمامه الجيش القادم من مصر الذي كان يقوده السلطان فرج بن برقوق، و سقطت دمشق بعد أن دافعت قلعتها شهراً، و سبي أهل دمشق، و أحرق عماراتها و منها الجامع الأموي، و نقل خير علمائها و صنّاعها و فنانها إلى سمرقند ففقدت دمشق كثيراً من صناعاتها التي كانت تختص بها ، و كان ابن خلدون في الوفد الذي أنقذه الدمشقيون لمفاوضة تيمور.

و قد رثى بهاء الدين البهائي مدينة دمشق بهذه المناسبة الأليمة، و وصف ما حلّ بها من دمار و قتل و سبي علي أيدي التتار سنة ٨٠٣هـ كما ذكر ما أصاب حماة و حلب.

قال:

- |                                    |                                   |
|------------------------------------|-----------------------------------|
| ١- لهفي على تلك البيروج و حسنها    | حفتُ بمنّ طوارقُ الحدثانِ         |
| ٢- لهفي على وادي دمشق و لطفه       | و تبدّل الغزلانِ بالثيرانِ        |
| ٣- و شكا الحريق فؤادها لما رأت     | نورَ المنازل أُبدلت بدُخانِ       |
| ٤- جنّاتها في الماء منها أضرمت     | فَعَجَبْتُ لِلجَنّاتِ في النيرانِ |
| ٥- كانت معاصمُ نهرها فضيَّة        | و الآن صرْنَ كذائب العقيانِ       |
| ٦- لو عاينتُ عيناكِ جامعَ تنكزِ    | والبركتينِ بحسنها الفتّانِ        |
| ٧- و تعطّش المرجّين من أورادها     | و تهدّم الحاراب و الإيوانِ        |
| ٨- لاذتُ جفونك بالدموع ملوّناً     | دمعاً على اللؤلؤ مع المرجانِ      |
| ٩- قطراتُ جفنٍ ترجمتُ عن حرّقي     | فكأنهنّ قلائدُ العقيانِ           |
| ١٠- أ بني أميّة أينَ يمنُ وليدكم   | و المغلُ تقتلُ في ذرا الأركانِ    |
| ١١- شربوا الخمرَ بصرحه حتّى إنتشوا | و ألقوا عرابدهم على النسوانِ      |

- ١٢- قصّوا جناح النَّسرِ عند فُوضه  
١٣- لهفي على كتبِ العلوم و درسيها  
١٤- أعروَسنا لك أسوةً بحماتنا  
١٥- غابت بدورَ الحسن عن هالاتها  
١٦- ناحتُ نواعيرُ الرياض لفقدهم  
١٧- حزني علي الشهباء قبل حماتنا  
١٨- لا تدّعي الأحزان يا شقراءنا  
١٩- رتعتُ كلابُ المغلِ في غزلاتها  
٢٠- لهفي عليكِ منازلًا و منازلها  
٢١- لم أدرِ من أبكي و أندبُ حسرةً  
٢٢- للجبهة الغراء، أم خلخالها  
يا ليتَه لو فازَ بالطيرانِ  
صارتُ معانيها بغير بيانِ  
في ذا المصاب فأنتما أختانِ  
فاستبدلت من عزّها بهوانِ  
فكأنّها الأفلاك في الدورانِ  
(هو أول و هي المحل الثاني)  
السَّبِقُ للشهباء في الأحزانِ  
و تحكّمت في الحورِ و الوالدانِ  
و مقامَ فردوسٍ و بابَ جنانِ  
للقصرِ، للشرفين، للميدانِ  
للمزّة الفيحا، أم اللّوانِ

شرح الأبيات:

- ١- لهفي على البروج و حسنيتها  
حفتُ بمنّ طوارقُ الحدثانِ

المفردات: لهفي علي: حسرتي علي/ حفتُ بـ: أحاطت بـ/ طوارق: مفردة طارقة: الداهية/ البروج:

الحصون/ الحدثان، مصائب الدّهر

يقول الشاعر: أتحسّرُ على تلك الحصون و جمالها في حالة أنّها قد أحاطتْ بها المصائب و الدواهي من كلّ جانب.

٢- لهفي على وادي دمشق و لطفه و تبدّل الغزلان بالثيران

المفردات: الغزلان: (ج الغزال): الظبي/ الثيران: (ج الثور) الذكر من البقر  
يقول الشاعر أتحسّرُ على وادي دمشق و جماله الذي زال و تبدّلتْ غزلانه الجميلة إلى الثيران الوحشيّة  
الشرح: كانت دمشق جميلةً آمنةً يحكم فيها الأمراء المحبّيون كالغزلان المحبّبة الجميلة لكنّها خلت منهم بعد هجوم التتار و أصبح يحكم فيها حكام التتار الذين يشبهون الثيران الوحشية.

٣- و شكا الحريق فؤادها لما رأت نورَ المنازل أبـدلت بدُخانٍ

المفردات: فؤاد : قلب/ نور:   
يقول الشاعر: إنّ دمشق تشكو من النار المشتعل في داخلها حينما يرى أنّ نور القناديل و المصابيح تبدّلُ إلى دخانٍ و رمادٍ.

الشرح: الشاعر يشير في هذا البيت و الأبيات الثلاثة التالية إلى إحراق العمارات و المعالم الحضارية في دمشق كالجوامع الأموي على يد التتر.

٤- جنّاها في الماء منها أضرمتُ فعجبتُ للجنّاتِ في النيرانِ

المفردات: أضرمتُ: إشتعلتْ

يقول الشاعر: إنّ بساتين دمشق الخضراء تشتعلُ في النار التي أوقدها التّار و أنا أتعجّبُ حينما أرى  
الحداثق و البساتين الخضراء في لهيب النار.

٥- كانت معاصمُ نهرها فضيَّة و الآن صرْنَ كذائب العقيانِ

المفردات: معاصم: (ج معصم) موضع السّوار من السّاعد/ فضيَّة: منسوبٌ إلى الفضة و هي جوهر ثمين  
أبيض تضرب منه النقود و تصنع منه الحلّى و الأواني/ العقيان: الذهب/ ذائب: سائل

يقول الشاعر: إنّ الجسور المبيّنة على نهر دمشق كانت فضيَّة اللون بيضاء لامعةً و الآن صارتُ - و هي  
تشتعل في النّار- كالذهب السائل الجاري

الشرح: يشبه الشاعرُ الجسور المبيّنة الدقيقة الصنع على الأنهار الجارية في دمشق بالمعاصم التي تزيّن يد  
الحسناء ثمّ تشبهها بالذهب السائل عندما تشتعل تلك الجسور في نيران الفتن.

٦- لو عاينتُ عيناك جامعَ تنكزٍ والبركتينِ بحسنها الفَتَّانِ

المفردات: عاينتُ: رأيتُ، شاهدتُ/ جامع تنكز: / الفَتَّان: العجيب، الجميل

يقول: لو رأيتَ مسجد تنكز و البركتين الجميلتين التي تبهر العيون.

٧- و تعطّش المَرَجين من أورادها و تهدّم الحَراب و الإيوانِ

المفردات: تعطّش: تكلف العطش/ تهدّم: سقط/ المَرَجين: مثني المَرَج و هو الأرض الواسعة فيها نبات

كثير

يردف الشاعر قائلاً : و لو رأيتَ ما تعانيه المرجين من العطش في تلك النار و لو شاهدتَ كيف تنهدم  
المحراب في المساجد و الأيوان في العمارات و البيوت.

٨- لاذتْ جفونك بالدموع ملوّناً      دمعاً على اللؤلؤ مع المرجانِ

المفردات: لاذت بِـ: إلتهأتْ إلى/ جفون : (ج جفن) العين/اللؤلؤ: الدرّ/ المرجان: صغار اللؤلؤ  
يقول الشاعر: لو رأيتَ ما وصفتُ في الأبيات السابقة لبكتُ عيناك و ذرفتُ الدموعَ كالدرّ ملوّنة بالدم.  
الشرح: يقصد الشاعر أنّ الرائي عند مشاهدة تلك المشاهد يذرف دموعاً ملوّنة ممزوجة بالدم أي أنّه  
يكي بكاءً مرّاً حزيناً.

٩- قطراتُ جفنٍ ترجمتُ عن حرّقي      فكأنّ قلائدُ العقيانِ

المفردات: ترجمتُ: حكتُ، عبّرتُ عن/ حرقة: جوى، حرارة القلب/ قلائد: مفرداتها قلادة؛ ما جعلَ في  
العنق من الحلّي / العقيان: الذهب  
يقول: إنّ قطراتِ الدموع الجارية من حدودي إلى صدري تشبه القلائد الذهبية و تعبّر عن حرارة قلبي و  
جوى حبي.

١٠- أ بني اميّة أين يمنُ وليدكم      و المغلُ تقتلُ في ذرا الأركانِ

المفردات: المغل: المغول/ ذرى: مفرداتها ذروة؛ العلوّ والمكان المرتفع، و المقصود بها الحكام

يقول الشاعر: يا بني أمية ! أين مجد أبناءكم و شرف أولادكم في حالة أن الجيش المغولي تقتل الحكّام العرب ذوي الأجداد.

١١- شربوا الخمرَ بصحنه حتّى إنتشوا و ألقوا عرابدهم على النسوان

المفردات: إنتشوا: (نشى ، ينشى) سكرُوا/ الخمر: (مفردها الخمرة) عصيرُ العنب إذا إحتمر/ الصحن: القدح الكبير/ عرابد: مفردها عريبد و هو من يؤذي الناس في سكره.  
يقول الشاعر: إنّ جنود التتار قد شربوا الخمر حتّى سكرُوا بها ثمّ هاجموا النسوان و هتكوا الأعراس في حالة سكرهم.

١٢- قصّوا جناح النسر عند فوضه يا ليت له لو فاز بالطيران

المفردات: قصّوا: قطعوا/ النسر: العقاب: جناح النسر: قسمٌ من الجامع الأمويّ فيه قبة النسر.

## ١٠. عائشة الباعونية (٨٦٥ - ٩١١هـ)

هي عائشة بنت يوسف بن احمد بن ناصر الباعونية الدمشقية صاحبة الشرف و النسب ، ولدت سنة ٨٦٥ هـ / ١٤٦٠ م في دمشق حيث نشأت و تعلمت ثم انتقلت إلى القاهرة لتجاز بالافتاء و التدريس لتعود الي دمشق مُدرّسة و مؤلفة .

تُعرف الشاعرة ببنت الباعونة نسبة الي باعون إحدي قري محافظة عجلون الحالية شمال الاردن و كنيته " أم عبد الوهاب " . تزوج من ابن نقيب احمد بن محمد و أنجبا عبدالوهاب و بركة .



حضرت الفقه و النحو و العروض علي جملة من مشايخ عصرها مثل جمال الدين اسماعيل الخوراني و العلامة محي الدين الارموي .

من آثارها ديوان شعر بديع في المدايح النبوية كله لطائف و " الملامح الشريفة في الآثار اللطيفة " التي مطلعها :

في حسن مطلع أقمار بذى سلم      أصبحت في زمرة العشاق كالعلم

و هي تشمل ١٣١ بيتاً مطبوعة مع شرحها - تسمى بالفتح المبين في مدح الامين - بهامش لابن حجة الحموي .

بلغت عائشة في الشعر مبلغاً عظيماً حتي عدّها العارفون بالادب بين المحدثين من الادباء و الشعراء تزيد عن الخنساء بين الجاهليين .

من شعرها البديع في الغزل قولها :

كانما الخال تحت القرط في عنق      بدا لنا من محيا جلّ من خلفا

نجم غدا بعمود الصبح مستتراً      خلف الثريا قبيل الشمس فاحترقا

توفيت عائشة الباعونية سنة ١٥١٦ م .

قالت عائشة الباعونية تمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلة مولده:

١. الله أكبر كم وافّت بّشاراتُ      و كم تبدّت لتعظيمِ إشاراتُ

٢. و كم تجلّت براهينُ و معجزةُ      و كم كوّلت كراماتُ و آياتُ

٣. بليلةِ المولدِ الغراءِ حينِ دنا      لوضعِ أحمدَ خيرِ الخلقِ ميقاتُ

٤. أعظمَ بها ليلةٌ جلّت بدائعها      و أفصحتُ بالهنا فيها الجماداتُ

٥. و دُقّ طبلُ الهنا في كلّ ناحيةٍ      و قابَلته من الآفاقِ كوساتُ

٦. و أشرقَ الكونُ بالأنوارِ و اتّصلتُ      منِ الهواتفِ بالهادي بشاراتُ

٧. و نُكِّسَتْ سَائِرُ الأصْنَامِ و انقلبتْ      كأنَّها لم تكنْ إلا هَبَائِثُ
٨. و رُجَّ إِيوَانُ كَسْرِي رَجَّةً سَقَطَتْ      لبأسِها شُرْفٌ مِنْهُ عَدِيدَاتُ
٩. و سَاءَ سَاوَةٌ غِيضُ الْمَا و فَارِسُ مِنْ      خُمُودِ نِيرَانِهِمْ بِالْغِيظِ قَدْ مَاتُوا
١٠. و نَالَ فِي لَيْلَةِ الْإِسْرَاءِ مَا عَجَزَتْ      عَنْ شَرْحِ أَيْسَرِ مَعْنَاهُ الْعِبَارَاتُ
١١. عَلَيْكَ مِنْ صَلَوَاتِ اللَّهِ أَفْضَلُهَا      أَزْكِي صَلَاةً بِهَا لِلْقَلْبِ وَصَلَاتُ

### شرح الأبيات:

١. الله أكبر كم وافت بشارات      و كم تبدت لتعظيم إشارات
- وافت : جاءت ، وصلت - تبدت : ظهرت ، بانّت
- تقول الشاعرة : الله أكبر من هذه البشارات الكاملة الواصلة إلينا بهذه المناسبة الكريمة (
- مولد النبي الأكرم (ص) ) و يالها من ليلة مباركة ظهرت فيها الإشارات الوافرة لعظمة
- رسول الله (ص) .
٢. و كم تجلّت براهين و معجزة      و كم توالّت كرامات و آيات
- المفردات : تجلّت : ظهرت
- المعني : و كم ظهرت في هذه الليلة من البراهين المتقنة و المعجزات و ما أكثر الكرامات و
- الآيات المتلاحقة الدالة علي عظمة رسول الله (ص) .
٣. بليلة المولد الغراء حين دنا      لوضع أحمد خير الخلق ميقات
- الغراء : المضيفة الشريفة - الميقات : الموعد - دنا : حان ، آن

معني البيت : في هذه الليلة المباركة الشريفة التي قد حان فيها موعد ميلاد خير خلق الله.

٤. أعظم بها ليلةً جلّت بدائعها و أفصحتْ بالهنأ فيها الجماداتُ

جلّت : عظمت - أفصحَ : بيّنَ - الهنا : الهناء ، السعادة

شرح البيت : ما أعظم هذه الليلة و هي ليلة كثر فيها الأشياء العجيبة بحيث قد عبّرت

عن إرتياحها الجمادات و الأجسام غير الناطقة.

٥. و دُقَّ طبلُ الهنا في كلّ ناحيةٍ و قابَلَتْهُ من الآفاق كوساتُ

المفردات : الكوسات : الطبول

معني البيت : و قد أقيمت الحفلاتُ و المهرجاناتُ و قرّعت الطبول فرحاً و سروراً في أنحاء

العالم و جاوبَتْها الطبول في الآفاق و السموات.

٦. و أشرقَ الكونُ بالأنوارِ و اتّصلتْ من الهواتف بالهادي بشاراتُ

معني البيت : و أضاءَ الكونُ بالأنوار و الناسُ يهتفون و يبشرون بعضهم الآخر بميلاد الهادي

النبي الأكرم (ص).

٧. و نُكّست سائرُ الأصنام و انقلبتْ كأنّها لم تكنْ إلا هباءاتُ

نُكّسَ : إنقلب - الهباء : الغبار

معني البيت : و تهدّمت الأصنام و انكسرتْ عظمتُها و صارتْ كأنّها كانت ذرّة ترابٍ أو

غباراً لا قيمةً له.

٨. و رُجَّ إيوانُ كسري رجّةً سقطتْ لبأسِها شُرْفٌ منه عديداتُ

المفردات : رَجَّ : هَزَّ و حَرَّكَ بِشِدَّةٍ - شُرِّفَ : مفردُها شُرْفَةٌ و هي واجهة البيت من

الخارج تَشْرِفَ علي ما حوله ( بالكُنْ ) - البأس : القوَّة ، الشدة

معني البيت : إهتزَّتْ قصرٌ كسري بعد مولد النبي (ص) هَزَّةٌ قد هَدَمَتْ شُرْفَاتُهُ العديدة و شَقَّتْ.

٩. و ساءَ ساوَةٌ غيَضُ الما و فارسٌ مِنْ خُمُودِ نيرانهم بالغِيظِ قد ماتوا

المفردات : الما : الماء ( قد حُذِفَتْ همزة الماء صيانةً علي عروض البيت ) - غاض الماء : نزل

في الأرض و غاب فيها - الخمود : الفتور ، السكون - الغيظ : السَّخَطُ ، الغضب الشديد

شرح البيت : قد غضب أهلُ ساوَةٍ مِنْ جفافِ مياههم منذ ولادةِ النبي(ص) كما قد سخط أهل فارسَ مِنْ خُمُودِ نيرانهم في المعابدِ سَخَطًا أَدَّى إلي موتهم.

١٠. و نالَ في ليلةِ الإسراءِ ما عجزَتْ عن شرحِ أيسرٍ معناه العباراتُ

معني البيت : و نالَ النبي(ص) في ليلةِ المعراجِ مكانةً يقصر اللسانُ عن بيانِ أبسطِ معانيها.

١١. عليكِ مِنْ صلواتِ الله أفضُلُها إزكي صلاةً بها للقلبِ وصلاتُ

و تقولِ الشاعرة : أيها النَّبِيُّ (ص) سلام الله عليك و أفضل صلواته و أطهر صلاةٍ تنبعث عن القلب الطاهر.

## ١١. ابن النقيب (١٠٤٨-١٠٨١ هـ)

هو عبد الرحمن بن محمد كمال الدين محمد الحسيني الملقب بـ (ابن النقيب) نسبة إلى أبيه الذي كان

نقيب ببلاد الشام . ولد سنة ١٠٤٨ هـ، و كان والده عالماً فقيهاً جامعاً لأطراف المعارف و الفنون، كما

كان ينظم الشعر و يمدح به قضاة السلطنة العثمانية و صدر الدولة و مشايخ الإسلام الذين كان مقربا منهم. و كان ذا مكانة سياسية و اجتماعية و دينية هامة بحكم كونه نقيب الأشراف. و قد تولى عدة مناصب مرموقة بدمشق من بينها النيابة الكبرى و قسمة العسكر .

و كان وفيًا لأصدقائه، و دوداً لأحبائه، ذا بنية لينة ضعيفة، و قريحة و قادة نديّة، يسعفها شباب غض طرى، و عيشٍ ناعم رخيّ. ولكن القدر لم يمهله طويلا حتى يتمتع بكامل حياته و يمدّنا بأكثر مما أمدّنا به من الشعر، فلّفه الموت و هو في أوائل العقد الثالث من عمره عندنا دهم بلاد الشام الوباء الأصفر فقضى، في جملة من قضى، على شاعرنا و هو في مقتبل الشباب و ريق العمر فمات مطعوناً سن ١٠٨١هـ و دفن بمقبرة الفراديس بدمشق.

## ديوانه

ديوانه مطبوع، حققه عبدالله الجبوري، و نشره مجمع اللغة العربية بدمشق سنة ١٩٦٣م. وللدكتور عمر موسى باشا دراسة عن ابن النقيب، شاعر الطبيعة الدمشقي في العصر العثماني، نشرها بدمشق سنة ١٩٧٠م.

و تكاد تقصر أغراضه الشعرية على الوصف و الغزل و الخمریات و بعض المدح الإخوانية. و وصف الطبيعة أجمل ما في ديوانه، فقد بھر به جمال دمشق فخصمها بالشعر الجميل و الوصف الدقيق حتى إنه لم يترك متراً من منازلها إلا و خلّده برائع القول. و قد امتزج هذا اللون من الشعر مع نفسه الشابة التي عشقت الطبيعة و وصفتها أجمل وصف. و كنا نلمح في هذا الوصف نفحة أندلسية تنمّ عما كان يحسّه نحو الأدب الأندلسي من إعجاب، حتى إنه قد نظم بعض الموشحات على غرار الأندلسيين.

وقال هذه الأبيات، وقد ذكر أنه كتبها على شجرة بوادي دمشق على أطراف نهر بردى:

- |                                 |                          |
|---------------------------------|--------------------------|
| ١- يا سرحة الوادي سقيت من الحيا | غدقاً يواصل ذيله بقطاره  |
| ٢- لم أنس يومي في ذراك و جّذا   | من ظلك الأملى ديب عذاره  |
| ٣- لما أنخت بجانب النهر الذي    | قد طاب لعيش مضى بجواره   |
| ٤- حيث النسيم جرى عليه مهيمنا   | فكأنما ناجاه بعض سراره   |
| ٥- فتجعدت منه الأسرّة و اغتدى   | بخريه ينيك عن أخباره     |
| ٦- يا طيب ذياك النسيم جرى على   | بردى يسابق ذيله بعثاره   |
| ٧- قد رحت منه بالشميم مضمّحا    | مما حباه الروض من أزهاره |

شرح الأبيات:

- ١- يا سرحة الوادي سقيت من الحيا غدقاً يواصل ذيله بقطاره

المفردات: سرحة: شجر عظام طوال، جمعها السرح/ الحيا: المطر/ غدقاً: غزيراً/ ذيله: آخره/ قطار المطر:

بداية المطر حيث يهطل قطرة قطرة

المعنى: أيتها الشجرة الباسقة في الوادي سقاك الله مطراً غزيراً مستمراً على الدوام

نهر بردى: نهر في دمشق كان يعرف قديماً بنهر الذهب ينبع من بحيرة نبع بردى في جنوب الزبداني و يبلغ

طولها ٧١ كيلومترا

٢- لم أنس يومي في ذراك و حبّذا من ظلك الألى ديب عذاره

المفردات: ذرا: الناحية و الملجأ/ ديب: تسرّب / الألى:

المعنى: لا أنسى أبدا اليوم الذي قضيته بجانبك و ما أجمل رقص شعره المتدلّي في ظلك الوارف الحالك.

٣- لما أنختُ بجانب النهر الذي قد طاب لعيش مضي بجواره

المفردات: أنختُ بـ : أقمتُ في

المعنى: عندما جلستُ بجانب النهر الذي التذّ من العيش و الجلوس بجانبه

٤- حيث النسيم جرى عليه مهيمنا فكأئما ناجاه بعض سراره

المفردات: مهيمناً: هادئ الصوت/ السرار: الأسرار

المعنى: و كان النسيم يهبّ على النهر بالهدوء فكأئمه يهمس في أذن النّهر بعض أسراره

٥- فتجعّدت منه الأسرّة و اغتدى بخبره ينبيك عن أخباره

المفردات: تجعّدت: تقبّض، تقطّب/ أسرّة: خطوط الوجه و الجبهة/ تجعّدت أسرّته: كناية عن غضب/

خبر: صوت الماء/ ينبيك: يخبرك

المعنى: لما هبّ النسيم على النهر بدت على صفحته خطوط كأئمه غضبت و جرت في الصباح كأئمه

يخبرك عمّا جرى بينه و بين النسيم

٦- يا طيب ذِيَاك النسيم جرى على بردى يسابق ذيله بعثاره

المفردات: يا طيب:طوبى، حبّذا /ذِيَاك:مصغر ذاك/ الذّيل:آخر كلّ شيء

المعنى: طوبى لذلك النسيم الذي جرى على نهر بردى في حالة أنّ النسيم يسابق بهبوبه آخر النهر و يمرّ

عليه سريعا

٧- قد رحت منه بالشميم مضمّخا مما حباه الروض من أزهاره

المفردات: الشميم:الرائحة/ مضمّخا: معطّرا / حبا: أعطى

المعنى: إننى استشمتُ رائحة طيبة مريحة من هذا النسيم الذي كان معطّرا برائحة طيبة من أزهار

الحديقة.

## طبيعة دمشق

قال ابن النقيب يصف طبيعة دمشق:

١- حيّا دمشق فكم فيها لذي وطر منازة هي ملء السمع و البصر

٢- فإن توخيت منها طيب مختبر وتحتني عنده باكورة العمر

٣- فاعمد إلى الفيحة الفيحاء مرتشفا بها زلال معين رائق خصر

٤- و اسلك خمائل وادي أشرفيتها بظلّ مشبتك الأغصان و الشجر



- ٥- واصعد ذرا السّفح وانشد فيها مدّكرا عهود أنس مضت في سالف العمر  
٦- يا ليلة السفح هلاًّ عدت ثانية سقى زمانك هطّال من المطر  
٧- وقف على دير مرّان التي شخصت آثاره تلق فيه مسرح النظر  
١١- و اذكر مقالة صبّ فيه ممتحن يا دير مرّان لا عرّيت من سكر

شرح الأبيات:

- ١- حيّا دمشق فكم فيها لذي وطر منازره هي ملء السمع والبصر

المفردات: حيّا:أبقى وأخلد/ذى وطر: ذي حاجة، ذي بغية/ منازره: مفردها متره، الموضع البعيد، المتترّه  
المعنى: حفظ الله دمشق فكم من أمكنة جميلة فيها لذي حاجة تبهر العيون و تعجب الآذان.

- ٢- فإن توخيّت منها طيب مختبر وتحتني عنده باكورة العمر

المفردات: توخيّت: قصدت إليه/ الطيب: الأرج، رائحة طيبة/ تحتني: تقطف/ باكورة: أوّل شيء/

باكورة العمر: كناية عن الشباب و عنوانه

المعنى:إذا أردت أن تختبر مكانا طيبا و أن تلتذّ من عنوان شبابك

- ٣- فاعمد إلى الفيحة الفيحاء مرتشفا بها زلال معين رائق خصر

المفردات: أعمد: إتّجه نحو، إذهب/ الفيحة: بلدة تقع غرب دمشق و تبعد عنها حوالي ١٥ كيلومترا/

مرتشفا: شاربا/ المعين: الماء الصافي/ رائق: مصبوب/ خصر: بارد

المعنى: إذهب إلى بلدة الفيحة الواسعة في حالة أنتَ تشرب من ماء زلال بارد مصبوب متدفّق من عين الفيحة.

٤- و اسلك خمائل وادي أشرفيتها بظلّ مشبتك الأعصان و الشجر

المفردات: خمائل: مفردها خميلة، الشجر المجتمع الكثير/ وادي: الأشرفيّة(أشرفيّة الوادي): قرية تقع إلى

اليسار من مجرى نهر بردى و هى تقع في أرياف دمشق وتبعد عنها مسافة ١٩ كيلومترا.

المعنى: و امش بين الأشجار المكثفة المشتبكة في أشرافية الوادي.

٥- واصعد ذر السفح وانشد فيها مدّكرا عهود أنس مضت في سالف العمر

المفردات: ذرا: مفردها ذروة، القمة/ السفح: بلدة سورية تبعد عن مدينة رأس العين ١٣ كيلومترا و تمتاز

بطبيعتها الخلابة الجميلة.

المعنى: و اصعد مرتفعات بلدة «سفح» و غنّ فيها في حالة أنتَ تذكّرها العهود الماضية التي أمضى

الأحباب فيها.

٦- يا ليلة السفح هلاّ عدت ثانية سقى زمانك هطّال من المطر

المفردات: هطّال: كثير الهطلان

المعنى: و قل «أيتها الليالي التي قضيت في السفح ألا تعود مرّة أخرى؟ أسئل الله - تعالى- أن يسقيك الأمطار الغزيرة.»

٧- وقف على دير مرّان التي شخصت آثاره تلق فيه مسرح النظر

المفردات: دير مرّان: قلعة مشرفة على مزارع زعفران بالقرب من دمشق

المعنى: و توقّف عند قلعة دير مرّان التي تبرز بقاياها و ترى فيها مشهدا جميلا يلفت النظر

٨- و اذكر مقالة صبّ فيه ممتحن يا دير مرّان لا عرّيت من سكر

المفردات: صبّ: عاشق و هنا يقصد الحسين بن ضحاك الذي نزل عند هارون الرشيد دير مرّان وقال شعرا مطلعها:

« يا دير مرّان لا عرّيت من سكن قد هجت لي حزنا يا دير مرّانا »

المعنى: و اذكر قول الحسين بن ضحاك الذي منه الرشيد أن يقول شعرا فقال شعرا في دير مرّان مخاطبا «يا دير مرّان أسأل الله أن لا تخلو من السكر»

٩- و أقصر مدى الخطو و اعبر صالحيتها تر القصور بما تسمو على الزهر

المفردات: أقصر: خفف / الخطو: المشي، القدم / صالحية: منطقة قديمة ومشهورة في دمشق تشتهر ببيوتها الحديثه و الأسواق الراقية/ تسمو: تعلو/ زهر: النجوم اللامعة

المعنى: و خَفَّفَ المشي و اعبّر منطقة الصالحيّة حيث ترى البيوت المرتفعة و القصور الشاخنة التي تعلو  
النجوم اللامعة

١٠- حيث الحدائق تجلّى من مطارفها عرائس السّرو في موشية الحرّ

المفردات: المطارف: مفردها مطرفو هو الردى / الحرّ: الثياب الناعمة/ موشية: مزينة و منقّشة

المعنى: حيث ترى الحدائق التي تظهر أشجار السّرو التي تشبه عرائس في ثياب ناعمة بيضاء منقّشة

١١- حيّا الإله بصوب الودق غوطته و صانها من عيون الزهر و البشر

المفردات: الودق: المطر/ صوب: هطول/ صانها: حفظها/ الزهر: / غوطة

الدمشق: مجموعة من بساتين تحيط بمدينة دمشق و هى سهل ممتدّ يشتهر بخصوبة الأرض و جودة المياه و

أنواع الأشجار الفاكهة و ربيع الغوطة له رونقة وجماله

المعنى: أسأل الله- تعالى- أن يمطر سهل الغوطة و بساتينها الأمطار الغزيرة و أن يحفظها من عيون الجنّ

و الإنس.

## القسم الثاني:

### أعلام الكتاب في عصر الإنحطاط:

١. صلاح الدين الصفدي ( ٦٩٦ - ٧٦٤هـ )
2. شهاب الدين بن فضل الله ( ٧٠٠ - ٧٤٩ هـ )
3. ابن بطوطة ( ٧٠٤ - ٧٧٩ هـ )
4. ابن خلدون ( ٧٣٢ - ٨٠٨ هـ )
5. القلقشندي ( ٧٥٦ - ٨٢١ هـ )

## ١. صلاح الدين الصفدي ( ٦٩٦ - ٧٦٤هـ )

خليل بن أيك بن عبدالله صلاح الدين، الصفدي، ابو الصفاء. ولد في صغد سنة ست و تسعين و ستمائة. و نشأ علي العلم و المعرفة ، وبرع في الخط و قرأ الحديث. أخذ على عدد من الشيوخ منهم القاضي بدر الدين بن جماعة وأبو الفتح بن سيد الناس.

و تولى مناصب هامة منها: كتابة الانشاء بمصر و دمشق، و كتابة السر بحلب، ثم وكالة بيت المال بالشام. و مات عام ٧٦٤هـ بالطاعون.

وقد نظم الصفدي الشعر والموشحات، وألف كتباً كثيرة يقارب عددها الخمسين مصنفاً، لم يكملها كلها، و قد وصلنا بعض ذلك ، وضاع اكثره . وطبع بعض كتبه التي وصلتنا و ظل الباقي مخطوطاً. فمن كتبه المطبوعة:

١. الوافي بالوفيات. طبع منه ٤ أجزاء فقط.

٢. نكت الهميان في نكت العميان طبع في مصر سنة ١٩١٠م . جعله في عشر مقدمات و خاتمة للمقدمات، ثم ابتدأ بالنتيجة و هي الغرض المطلوب من الكتاب، و وضع فيه نكت العميان و شعرهم، و تراجم مشاهيرهم فيها حسب حروف المعجم ليسهل كشف من يراد كشفه منهم

٣. الغيث المسجم في شرح لامية العجم.

٤. تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون.

٥. جنان الجناس.

٦. تحفة ذوي الالباب في من حكم بدمشق من الخلفاء والملوك والنواب.

### في نوادر العميان

قال بعضهم لبشار بن برد: ما أذهب الله كريمي مومن إلا عوضه الله خيراً منهما. فبم عوضك ؟ قال: بعدم رؤية الثقلاء مثلك.

و قال بعضهم : إن أهل هيت يكون اكثرهم عورا. فرأيت رجلاً منهم صحيح العينين، فقلت له: إن هذا لغريب ! فقال: يا سيدي إن لي اخا أعمي، قد اخذ نصيبه و نصيبي.

قال بعضهم: نزلت في بعض القرى خرجت في الليل لحاجة، فإذا انا بأعمي علي عاتقه جرّة ، و معه سراج، فقلت له: يا هذا، انت والليل والنهار عندك سواء! فما معني السراج ؟ فقال: يا فضولي ! حملته معي لأعمي البصيرة مثلك، يستضي به، فلا يعثر بي ، فاقع و تنكسر الجرّة.

قالت لأبي العيناء قينة يوما: يا اعمي! فقال لها: ما أستعين علي وجهك بشيء أصلح من العمي. ودخل يزيد بن منصور الحميري على بشّار، وهو واقف بين يدي المهدي ينشد شعرا؛ فلما فرغ من إنشاده أقبل يزيد بن منصور على بشّار وقال له: ما صناعتك، يا شيخ؟ فقال له: اثقب اللؤلؤ، فضحك المهدي وقال لبشار: اغرب

ويلك! أتتأدر على خالي ؟ قال: و ما اصنع به؟ يري شيخاً اعمي قائماً ينشد الخليفة مديحا، ويقول له: ما صناعتك؟

قلت: حكى مسرور ، الخادم قال: لما أمرني الرشيد بضرب عنق جعفر البرمكي، دخلت عليه، وأبو زكار عنده يغنيه:

فقلت: في هذا والله أتيك واخذت بيد جعفر وضربت عنقه. فقال ابو زكار: نشد تك الله إلا ألحقني به فقلت له: و ما رغبتك؟ قال: إنه أغواني عمّن سواه باحسانه، فما أحب ان أبقى بعده. فقلت: استأمر أمير المؤمنين. ولما اتيت الرشيد برأس جعفر، ذكرت له أمر ابي زكار، فقال: هذا رجل فيه مصطنع ، فانظر الي ما كان يجر به عليه جعفر ، فأقره عليه.

انشد الجاحظ لابن عباس:

قلبي ذكي ، وعقلي غير ذي دخل، و في فمي صارم كالسيف مأثور.

وقال الخريمي:

يريد أن أعـدل السلام، و أن أفصل بين الشريف والـدون؛

لَوْ أَنَّ دَهْرًا بَهَا يُؤْتَانِي،

لو كنت خيرت ما أخذت بها  
تعمير نوح ، في ملك قارون<sup>١٠</sup>.

و قال ايضاً

فَإِنْ يَكْ عَيْنِي خَبَا نَوْرَهَا، فَكَمْ قَبْلَهَا نَوْرَ عَيْنِ خَبَا،

٢. العب: عصا طويلة في احد طرفيها دائرة فيها شبكة ترمى على



فلنعم يعم قلبي، ولكنما أري نور عيني لقلبي سعي.

و قال بشار بن برد:

يا قوم أذني لبعض الحي عاشقة، والاذن تعشق قبل العين أحياناً؛

قالوا: بمن لا تري تهذي؟ فقلت لهم: الدذن كالعين توفي القلب ما كانا.

### ذكاء العميان

قل أن وجد أعمي بليدا، ولا يري أعمي إلا وهو ذكي .

والسبب الذي أراه في ذلك، أن ذهن الأعمى وفكره يجتمعان عليه، ولا يعودان متشعبين بما يراه؛ ونحن

نري الانسان، اذا اراد ان يتذكر شيئاً نسيه، أغمض عينيه وفكر ، فيقع علي ما شرد من حافظته.

وحكي لي الشيخ يحيى بن محمد الخباز الحموي قال: كان عندنا في حماة اعمي يعرف بنجم، يلعب

بالحمام ويصد الطير الغريب، فاستبعدت صيد الطائر الغريب، فقال لي: إن طيوري أبخرها ببخور أعرفه

وأطيرها، فإذا طارت ونزلت، ومعها الطير الغريب، هدرت حوله، فأعرف أن معها غريباً، فأرمي العب

علي الجميع، واخذها واحدا بعد واحد، فاشمه، فالذي غريباً، فأرمي العب علي الجميع، واخذها واحدا

بعد واحد، فاشمه، فالذي ليس فيه شي من بخوري أعرف أنه غريب فأصطاده.

و كان عندنا في صفد شخص اعمي، يعرف بشمس كان يسقي من البئر بيده، ويملا

بحق كبير، ويتوجه بذلك الي بيوت الناس وزبواناته، وهو مع كل ذلك بغير عصا.

رأيته يوماً هو وزوجة له متوجهين الي حمام عين الزيتون، و في الطريق عقبة تعرف بعقبة

عين الورد، و تحتها واد، وقد اخذ بيد زوجته، وهو يقول لها: تعالي الي هنا، لا تنطرفي

تعي في الوادي.

## شهاب الدين بن فضل الله ( ٧٠٠ - ٧٤٩ هـ )

### حياته :

شهاب الدين، أحمد بن محي الدين يحيى بن فضل الله بن المجلي بن دعجان القرشي العدوي العمري،

الدمشقي، الشافعي.

ولد هذا الكاتب المنشئ بدمشق سنة ٧٠٠ هـ و هو من أسرة توارثت الأدب و الإنشاء كابراً عن كابرٍ

. فأبوه محيي الدين كان يتولّى كتابة السّر للسلطان الناصر محمد بن قلاوون، و كان عمّه شرف الدين

يتولّى كتابة السّر في عهد الأشرف خليل.

بدأ هذا الكتاب حياته بدمشق، و هو علي رأس ثلاث إخوة عرفوا بالمهارة، و هم شهاب الدين، وعلاء

الدين ، و بدر الدين.

كان يكتب بديوان الإنشاء بدمشق، و لما ولي أبوه محي الدين كتابة السّر للسلطان الناصر بالقاهرة كان

ابنه شهاب الدين يساعده في عمله، و يقرأ عليه مع أخيه الصغير علاء الدين البريد لكبر سنّه.

عكف هذا الكاتب على التّأليف و التّصنيف سنين طوال و قد ادركته المنية بمكة بعد قضاء فريضة الحجّ

سنة ٧٤٩ هـ و هو دون الخمسين من العمر. فنقل رفاته إلى دمشق و دفن في تربته بسفح قاسيون.

### آثاره الأدبية:

قال ابن تغري بردي: « و كان إمامة بارعاً و كاتباً فقيهاً نظم كثيراً من القصائد والأراجيز والمقطعات والدوبيت، و أنشاء كثيراً من التقاليد و المناشير والتواقيع»، و استطرد قائلاً بعد ذلك: « و كان بارعاً في فنون، وله مصنفات كثيرة» نذكر منها ما يلي:

١ - ( مسالك الأبصار في ممالك الأمصار)، وهو في سبع وعشرين مجلداً، و ما زال مخطوطاً، ولم يطبع

منه غير المجلد الأول. قال فيه ابن شاكر: « كتاب حافل مأعلم أن لأحد مثله»، و نقل الصفدي القول نفسه، وقال عنه ابن العماد: « وهو كتاب جليل ما صنف مثله».

٢ - كتاب ( الإنشاء في صنعة التوقيع)، يبدو أنه هو الكتاب نفسه الذي استشهد به له القلقشندي

بعنوان ( صناعة الكتاب) وقد ذكره مرتين في صبحه. قال عنه ابن إياس: « وصنف كتاباً في صناعة التوقيع وصار العمل عليه إلي الآن بين الموقعين و به يقتدون».

٣- كتاب ( التعريف بالمصطلح الشريف ) مطبوع، وهو في مراسم الملك و ما يتعلق به .

٤- كتاب ( عرف التعريف)، وهو في الإخوانيات، وقد انفرد القلقشندي بذكره.

٥- كتاب ( دمية القصر) جمع في تراجم و مختارات لبعض الشعراء المعاصرين علي طريقة ( خريدة القصر

( للعماد الأصفهاني.

نماذج من نشره:

و نذكر من ذلك توقيعاً له كتبه للشيخ شمس الدين بن النخجواني بمشيخة الشيوخ بالخانقاه

الصلاحية المعروفة في القاهرة باسم ( سعيد السعداء) وقد جاء فيها قوله:

« الحمد لله مرقّي أوليائه، وموقّي أصفياه، وملقي الإخلاص لمن تلقّي سرّها المصون عن أنبيائه.

لحمده علي مصافاة أهل صفائه، وموافاة نعمنا لمن تمسّك بعهود وفائه، و تسلك فأصبحت رجالّ

كالجواهر، لا تنتظم في سلكه ولا تعدّ من أكفائه، و طلع للدين شمساً يباهي الشمس بضيائه، و يباهل

البدر التمام فيتغير تارة من حجله و تارة من حياته.

ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادةً نعدّها ذخراً للقائه، وفخراً باقياً ببقائه، راقياً في

الدرجات العلا بارتقائه.

ونشهد أن سيدنا محمداً عبده و رسوله مبلغ أنبائه، ومسوغ الزلفي لأحبابه، صلي الله عليه وعلي آله

وصحبه والتابعين لهم بأحسان من أهل ولائه، و من عرف به الله لما تفكّر في ألائه، صلاةً يؤمّل دوامها

من نعمائه، ويؤمن عليه اسكان أرضه وسمائه، وسلّم تسليماً كثيراً.

وبعد، فإن أولي ما استقام به الشخص علي الطريقة، واستدام به الرجوع إلي الحقيقة، واستام به يطمئن

إلي خالقه لا إلي الخليفة، وحفظ أفقه بنير تستضيء به النيرات، ونوء تنقسم به الغمام المطرات - طائفة

أهل الصلاح، ومن معهم من إخوان أهل الصفاء الصوفية داعي الفلاح، و من تضمّمهم من الواردين إليهم

إلى جناح، والصادرين عنهم بنجاح، و من تفتح له فيهم أبواب السماء، وتمنح بنفسهم عامة الخلق

ملابس النعماء، ومن يكشف بتهجّدهم جنح كل ظلام، ويكشف بتوجههم عارضة كل بدر تمام، و

يستشفى بركاته من داء كل سقام، ويستسقي بدعائهم إذا قصر النّيل وقصّ جناحه الغمام. و هم أولياء

الله وأحباؤه، وبهم يتعلل كل لبيب هم سقامه وهم أطباؤه، ألّهم الحب حتى عادوا كالأرواح، وشغلهم

الحب بصورت كل حمام شجاهم لما غني و برح بهم لما ناح، وأطربهم كلّ سمع فوجدوا بكل شيء شجناً

، وعذبهم الهوي فاستعذبوا أن لا يلائموا وسناً، و مثّل فرط الكلف لهم الأحباب فما رأوا لهم حالاً إلا

حسناً، وأثقل تكرار الذكرى قلوبهم فما عدّوا عربة غربة ولا وطناً وطناً، قرّبت المحبة لهم في ذات الله كلّ

متباعد، وألفت أشتاتهم فاختلّفت الأسماء والمعني واحد.

والخانقاه الصلاحية بالقاهرة المحروسة المعروفة بـ ( سعيد السعداء) - قدّس الله روح واقفها- هي قطب

نجومهم السائرة، ومراكز أفلاكهم الدائرة، وإليها تنحطّ رحال سفّارهم، وعليها تحطّ رحال أسفارهم،

تضطرب فرقهم في البلاد وإليها مرجعهم وعليها مجتمعهم، وفيها مواضع خلواتهم، ومطالع جلواتهم، و

مكان صلاحهم، وإمكان صلاحهم، ومشرق شمسهم، ومؤنق غروبهم، ومنهاج طريقتهم، ومعراج

حققتهم، مأوي هذه الطائفة في شرق البلاد وغربها، وبعدها وقربها، وعجمها و عربها، ومن رفع سجوفها

أو هو محجوب بحجبها، والمؤهلة والعرا، وأهل الاغتراب، هي فسيحهم الرحيب، و صفيحهم القريب، ومثالمهم إذا اجتمعوا في الملاء الأعلي زمراً، واخترقوا المهامه وما جازوا بيداء ولا جابوا مقفراً، وبلغوا الغاية وما أروع ركابهم حاد في ليل سري، ووصلوا و ما فارقوا فرشهم الممهدة إلى ما وراء الوري، شرط كل خانقاه أن لا تغلق في وجه من يتزل فيها باباً، ولا تطيل جهاتها الممنعة له حجاباً، ولا تعجل مقاماتها المرفعة له قيل...».

نسخة عهد كتبه شهاب الدين بن فضل الله عن الملك الناصر محمد بن قلاوون للملك الأفضل بن

المؤيد عماد الدين إسماعيل بسلطنة حماة في رابع صفر سنة اثنتين وثلاثين وسبع مئة، وهو آخر من

ملكها من بني أيوب وهي:

« الحمد لله الذي أقرّبنا الملك في أهله أهله ، وتدرار ك مصاب ملك لولا ولده الأفضل لم يكن له شبيه

في فضله، ووهب بنا بيت السلطنة من أبقى البقايا ما يلحق به كل فرع بأصله، ويظهر به رونق السيف

في نصله.

لحمده علي ما أفاض بمواهبنا من النعم الغزار، وأدخل في طاعتنا الشريفة من ملوك الأقطار، وزاد عطايانا

فأضحت وهي ممالك وأقليم وأمصار، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة أفلح من مات

من ملوك الإسلام عليها، وحرّض بها في الجهاد علي الشهادة حتي وصل إليها، ومدّ يده لمبايعتنا علي  
إعلائها فسابت الثريا ببسط يديها، ونشهد أن محمداً عبده ورسوله الذي شرف من تسمي باسمه أومتّ  
بالقري إلي نسبه، وصرف في الأرض من تمسك من رعاية الأمة بسبه، وأكرم به كريم كل قوم وجعل  
كاماة الفخار كلمهة باقية في عقبه، صلي الله عليه وعلي آله وأصحابه ما ناح الحمام لخزنه ثم غني من  
طربه، و سلّم تسليمًا كثيرًا.

أما بعد، فإننا-والله الحمد - ممن نحفظ بأحاسنا كل ودیعة، و نتقبّل لمن أقبل من الملوك علي سؤال  
صدقاتنا الشريفة كل ذریعة، و نتكفل لمن مات وهو علي ولائنا بما لو رآه في ولده لسره ماجري، و علم  
أن هذا الذي كان يتمني أن يعيش حتي يبصر هذا اليوم و يري، وكان السلطان الملك المؤيد عماد الدين  
- قدس الله روحه - هو بقية بيته الشريف، وآخر من حلّ من ملوكهم في ذروة عزه المنيف، و لم يزل في  
طاعتنا الشريفة علي ما كان من الحسيني عليه، و من المحاسن التي لقي الله بها و نور أيمانه يسعي بين يديه،  
فوهبنا له من المملكة الحموية المحروسة ما كان قد طال عليه سالف الأمد، و رسمنا له بها عطية باقية للوالد  
والولد، فلما قارب انقضاء أجله، وأشرف علي ما قدّمه إلي الله وإلينا من صالح عمله، لم يشغله ما به  
عن مطالعة أبوابنا الشريفة والتذكّار بولده، و تقاضي صدقاتنا العميمة بما كان ينتظره قمره المنير لفرقه،  
وورد من جهة ولده المقام الشريف، العالي، الولدي، السلطاني، الملكي، الأفضلي، الناصري- أعزّ الله

أنصاره- ما أروع القلوب بمصابه في أبيه، وأجري العيون علي من لانتقع له علي شبيهه، فوجدنا من الحزن  
عليه ما أبكي كل سيف دماً، وأن كل رمح يقرع سنه ندماً، تأسفنا علي ملك كاد يكون من الملائك،  
وأخ كريم أو أعز من ذلك، وسلطان عظيم طالما ظهر شنب بوارقه في ثغور الممالك ، وقمنا من الحزن  
في مشاركة أهله بالمندوب ثم قلنا: لكم في ولده العوض ولا ينكر لكم الصبر يا آل أيوب.

فاقتضت مراسمتنا المطاعة أن نرقيه إلي مقامنا العالي، ونعقد له من ألوية الملك ما تَهْتَز به أطراف العوالي، و  
نركبه من شعار السلطنة بما تتجمل به مواكبه، وتمتد به عصائبه، وتميس من العجب وتمتد رقاها بالرقبة  
السلطانية جنائبه ، تزيهاً لخواطركم الكريمة علينا عن قول ليت، وتنويهاً بقدر بيتكم الذي رفع لكم  
إسماعيل به قواعد البيت: لما نعلمه من المقام العالي الملكي الأفضلي الناصري- أمتع الله ببقائه - من  
المناقب التي استحق بها أن يكون له عليكم الملك، والعزائم التي قلد بها من الممالك ما تجول به الجياد  
وتجري به الفلك، معما له منالكرم الذي هو أوفي من العهد بعهد، والفضل الذي اتصل به ميراث  
الأفضلة عن جدّه ، والجود الذي جري البحر معه فاحمرت من الخجل صفحة خدّه، والوصف الذي لم  
يرض بالجوزاء واسطة لعقده، والعدل الذي أشبه فيه أباه فما ظلم، والعلم الذي ما خلا به بابه من طلب:  
إما لهدي و أما لكرم، ولم يخرج من كفالة والده إلا إلي كفالتنا التي أظلت به بسحبها، و حلت سماء مملكته  
بشهبها، وخاطبناه كما كنا نخاطب والده - رحمه الله - بالمقام الشريف، وأجريناه في ألفا به مجري الولد



زيادة له في التشريف، وصرفنا أمره في كل ما كان للملوك أهله فيه تصريف، و سنرشدّه إلى أوضح

طريقة، و يقوم مقام أبيه أو ليس ( الناصر) هو أبو الأفضل حقيقة، و رسمنا بطلبه إلى ما بين أيدينا

الشريفة، لنجدد له من نظرنا الشريف ما يتضاعف ب سعوده، ويزداد صعوده، و يتمثل في هذا البيت

الشاهنشاهي أبناؤه و أبائهم وجدوده: لتعمل معه صدقاتنا الشريفة ما هو به جدير، وترفعه إلى أعز مكان

من صهوة المنبر والسرير، وتكاثر به كلّ سلطان و ما هو إلا جحفل يسير، لتشيّد به أركان هذا البيت

الكريم، وتحيا عظامه وهي في اللحد عظم رميم، وتعرف الناس أن عنا يتنا الشريفة بهم تزيد علي ما

عهدوه لجدّهم القديم من سميننا الملك الناصر القديم.

## ٢. ابن بطوطة (٧٠٤-٧٧٩هـ)

هو أبو عبد الله بن إبراهيم اللواتي، نسبة إلى لواته إحدى قبائل البربر، المعروف بإبن بطوطة، و الملقب بشمس الدين.

ولد في طنجة، فقبل فة الطنجي. و مكث فيها إلى أن بلغ الثانية و العشرين، فاندفع بدافع التقوى، و كان على قسط عظيم منها، إلى الحج، و انساق بحبّه الأسفار إلى التحوال في بلدان العالم المعروف في أيامه، فطاف فط مصر و سوريا و جزيرة العرب، و إفريقيا الشرقية، و آسية الصغرى، و روسيا الجنوبية و الهند و الصين، و الأندلس والسودان.

و رحلاته ثلاث استغرقت كلّها زهاء تسع و عشرين سنة، أطولها السفرة الأولى التي لم يترك فيها ناحية من نواحي المغرب و المشرق إلا زارها.

و أكثر ما كانت إقامته في الهند حيث تولّى القضاء سنتين ثمّ في الصين حيث تولّى القضاء سنة و نصفاً فوصف كلّ من شاهده و عرفه فيهما من سلاطين و خواتين، و أناسي رجالاً و نساء، و وصف ملابسهم و عاداتهم و أخلاقهم و ضيافتهم ترتيب مآكلهم و مشاربهم، و ما حدث في أثناء إقامته من حروب و غزوات و ثورات و فتك بالسلّاطين و الأمراء و رجال الدين. و كانت عاطفته الدينية تدفعه إلى زيارة المساجد و الزوايا فلم يترك زاوية إلا زارها و نزل ضيفاً عليها حتى أنه زار من جبل سرنديب المكان الذي يقال إن فيه أثر قدم آدم أبي البشر.

و قد سمّى مجموعة أخباره «تحفة النظر في غرائب الأمصار و عجائب الأسفار» ولكنها تعرف اليوم برحلة ابن بطوطة.

و أسلوبه في سرده أخباره فكّه ظريف، توخّى فيه الأمانة، حتى ولو كان الأمر معلّقاً بنفسه، و هذا ما جعل المستشرق دوزي يلقبه: «بالرحالة الأمين».

و مهما كان من أمر فإن قصه رحلاته من أطرف القصص و أجزؤها نفعا لما فيها من وصف للعادات و الأخلاق، و لما فيها من فوائد تاريخية و جغرافية، و من ضبط لأسماء الرجال و النساء و المدن و الأماكن. و قد اهتمّ بها المستشرقون في انكلترا و فرنسا و البرتغال و ألمانيا، فترجموها أو ترجموا أقساماً منها إلى لغاتهم و طبعوها. و قسمها ابن جرّي إلى كتابين وقف الأول منهما عند وصول صاحبها إلى نهر السند، و أنهى الكتاب الثاني بنهاية الرحلة الثانية.

**حكاية الطاعون الأعظم في دمشق**

شاهدتُ أيام الطاعون الأعظم بدمشق في أواخر شهر ربيع الثاني سنة تسع و أربعين و سبعمائة من تعظيم أهل دمشق لهذا المسجد ما يعجب منه، و هو: أنّ ملك الأمراء نائب السلطان أرغون شاه أمر مناديا ينادي بدمشق أن يصوم الناس ثلاثة أيام، و لا يطبخوا بالسوق، فصام الناس ثلاثة أيام متوالية، كان آخرها يوم الخميس، ثمّ اجتمع الأمراء و الشرفاء القضاة و الفقهاء و سائر الطبقات على اختلافها في الجامع حتى غص بهم، و باتوا ليلة الجمعة ما بين مصلّ و ذاكر و داع؛ ثمّ صلّوا الصبح و خرجوا جميعا على اقدامهم و بأيديهم المصاحف و الأمراء حفاة، و خرج جميع أهل البلد ذكورا و إناثا، صغارا و كبارا، و خرج اليهود بتوراتهم و النصارى بإنجيلهم، و معهم النساء و الولدان، و جميعهم باكون متضرعون إلى الله بكتبه و أنبيائه، و قصدوا مسجد الأقدام، و أقاموا به في تضرعهم و دعائهم إلى قرب الزوال، و عادوا إلى البلد، فصلّوا الجمعة، و خفّف الله تعالى عنهم ما انتهى عدد الموتى إلى ألفين في يوم الواحد؛ و قد انتهى عددهم بالقاهرة و مصر إلى أربعة و عشرين ألفا في يوم واحد.

### ذكر قاسيون ومشاهدة المباركة

و قاسيون جبل في شمال دمشق، و الصالحية في سفحه، و هو شهير البركة لأنّه مصعد الأنبياء، عليهم السلام ؛ و من مشاهدة الكريمة الغار الذي ولد فيه إبراهيم، عليه السلام، و هو غار مستطيل ضيق عليه مسجد كبير، و له صومعة عالية. و من ذلك الغار رأى الكوكب و القمر و الشمس حسبا ورد في الكتاب العزيز. و فى ظهر الغار مقامه الذي كان يخرج إليه.

و قد رأيت ببلاد العراق قرية تعرف بْبُرص، ما بين الحلة و بغداد، يقال إنّ مولد إبراهيم، عليه السلام، كان بها.

ومن مشاهدته بالغرب منه مغارة الدم، و فوقها بالجبل دم هابيل بن آدم، عليه ا لسلام، وقد أبقي الله منه في الحجارة أثرا محمراً، و هو الموضع الذى قتله أخوه به، و اجترة إلى المغارة؛ و يذكر أن تلك المغارة صلى فيها إبراهيم و موسى و عيسى و أيوب و لوط؛ صلى الله عليهم أجمعين.

### حكاية مآثم ابن السلطان

و من غريب ما اتفق لي يومئذ أني دخلتُ فرأيت القضاة و الخطباء و الشرفاء قد استندوا إلى حيطان المشور وهو غاص بهم من جميع جهاته، و هم بين باك و متباك و مطرق، وقد لبسوا فوق ثيابهم خامة من غليظ القطن غير محكمة الخياطة، بطائنها إلى أعلى و وجوهها ممّا يلي أجسادهم، و على رأس كل واحد منهم قطعة خرقة أو مئزر أسود، و هكذا يكون فعلهم إلى تمام أربعين يوماً، و هي نهاية الحزن وعندهم، و بعدها يبعث السلطان لكل من فعل ذلك كسوة كاملة. فلما رأيت جهات المشور غاصّة بالناس نظرت يمينا و شمالا أرتاد موضعا جلوسي فرأيت هنالك سقيفة مرتفعة عن الأرض بمقدار شبر، و في إحدى زواياها رجل منفرد عن الناس قاعد عليه ثوب صوف شبه اللبد يلبسه بتلك البلاد ضعفاء الناس أيام المطر و الثلج و في الأسفار، فتقدّمت إلى حيث الرجل و انقطع عني أصحابي رأوا إقدامي و عجبوا مني، و أنا لا علم عندي بشيء من حاله، فصعدت السقيفة، و سلّمت على الرجل فردّ عليّ السلام، و ارتفع عن الأرض كأنه يريد القيام، و هم يسمّون ذلك نصف القيام، و قعدت في الركن المقابل له ثم نظرت إلى الناس، و قد رموني بأبصارهم جميعا، فعجبت منهم، و رأيت الفقهاء و المشايخ و الأشراف مستندين إلى الحائط تحت السقيفة، و أشار إليّ أحد القضاة أن أخطّ إلى جانبه، فلم أفعل، و حينئذٍ استشعرت أنّه السلطان.

فلما كان بعد ساعة أتى شيخ المشايخ نور الدين الكرمانى الذي ذكرناه قبل، فصعد إلى السقيفة و سلم على الرجل، فقام إليه و جلس فيما بينى و بينه، فحينئذ علمت أن الرجل هو السلطان. ثمّ جيء بالجنّازة، و هي بين أشجار الاترجّ و اللّيمون و النّارنج و قد ملأوا أغصانها بثمارها، و الأشجار بأيدي الرجال فكأنّ الجنّازة تمشي في بستان، و المشاعل في رماح طوال بين يديها، و الشمع كذلك، فصلّي عليها. و ذهبت الناس معها إلى مدفن الملوك، و هو بموضع يقال له هلافيحان على أربعة أميال من المدينة، و هنالك مدرسة عظيمة يشقّها النهر، و بداخلها مسجد تقام فيه الجمعة و بخارجها حمام، و يحفّ بها بستان عظيم و بها الطعام للوارد و الصادر.

و لم أستطع أن أذهب معهم إلى مدفن الجنّازة لبعد الموضع فعدت إلى المدرسة. فلما كان بعد أيّام بعث إليّ السلطان رسوله الذي أتاني بالضيافة أولاً يدعوني إليه، فذهبت إلى باب يعرف بباب السرّ و صعدنا في درج كثيرة إلى أن إنتهينا إلى موضع لا فرش به لأجل ما هم فيه من الحزن، و السلطان جالس فوق مخدّة و بين يديه آنيّتان قد غطيّتا؛ إحداهما من الذهب، و الأخرى من الفضة؛ و كانت بالمجلس سجادة خضراء وفرشت لي بالقرب منه، و قعدت عليها، و ليس بالمجلس إلا حاجبه الفقيه محمود، و ندسم له لا أعرف اسمه، فسألني عن حالي و بلادي و سألني عن الملك الناصر و بلاد الحجاز، فأجته عن ذلك، ثمّ جاء فقيه كبير هو رئيس فقهاء تلك البلاد، فقال لي السلطان: هذا مولانا فضيل؛ و الفقيه ببلاد الأعاجم كلّها إنّما يخاطب بمولانا و بذلك يدعوه السلطان و سواه، ثمّ أخذ في الثناء على الفقيه المذكور، و ظهر لي أن السّكر غالب عليه و كنت قد عرفت إدمانه الخمر، ثمّ قال لي بللسان العربي، و كان يحسنه:

تكلّم! فقلت له: إن كنتَ تسمع مني أقول لك أنت من أولاد السلطان أتاك أحمد المشهور بالصلاح و الزهد، و ليس فيك ما يقدح في سلطنتك غير هذا، و أشرت إلى الآنيّتين، فحجل من كلامي و سكت،

و أردت الإنصراف، فأمرني بالجلوس، وقال لي: الإجتماع مع أمثالك رحمة، ثم رأيته يتمايل و يريد النوم فانصرفت، و كنت تركت نعلي بالباب فلم أجده، فترل الفقيه محمود في طلبه، وصعد الفقيه فضيل يطلبه في داخل المجلس، فوجدته في طاق هنالك فأتى إليّ به فأحجلني برّه، و اعتذرت إليه، فقبّل نعلي حينئذ، و وضعه على رأسه وقال لي: بارك الله فيك! هذا الذي قلته لسلطاننا لا يقدر أحد أن يقوله على غيرك، و الله إنّي لأرجو أن يؤثر ذلك فيه.

و مرزنا بالغد بقرية يقال لها نبلان و هي كبيرة على نهر عظيم، و إلى جانبه مسجد في النهاية من الحسن تصعد إليه في درج و تحفّ البساتين، و سرنا يومنا فيما بين البساتين و المياه و القرى و الحسان الكثيرة أبراج الحمام، و وصلنا بعد العصر إلى مدينة أصفهان من عراق العجم(و اسمها يقال بالفاء الخاصة و يقال بالفاء المعقودة المخّمة).

و مدينة أصفهان من كبار المدن وحسانها إلا أنّها الآن قد خرب أكثرها بسبب الفتنة التي بين أهل السنة و الروافض، و هي متصلة بينهم حتى الآن فلا يزالون في قتال؛ وبها الفواكه الكثيرة و منها الشمس الذي لانظير له يسمّونه بقمر الدين، و هم يوبسونه و يدخرونه، و نواه ينكسر عن لوز حلو؛ و منها السفرجل الذي لا مثل له في طيب المطعم و عظم الجرم؛ و الأعناب الطييز و البطيخ العجيب الشأن الذي ليس في الدنيا مثله إلا ما كان من بطيخ بخارى و خوارزم، و قشره أخضر، و داخله أحمر و يدخّر كما تدخّر الشريحة بالمغرب، و له حلاوة شديدة، و من لم يكن ألف أكله فإنّه في أول أمره يسهله، و كذلك اتفق لي لما أكلته بأصفهان.

و أهل أصفهان حسان الصور، و ألوانهم بيض زاهرة مشوبة بالحمرة، و الغالب عليهم الشجاعة و النجدة، و فيهم كرم و تنافس عظيم فيما بينهم في الأطعمة تؤثّر عنهم فيه أخبار غريبة، و ربّما دعا أحدهم

صاحبه فيقول له: إذهب معي لتأكل نان و ماس، والنان بلسانهم الخبز، و الماس اللبن، فإذا ذهب معه أطعمه أنواع الطعام العجيب مباهايا له بذلك. و أهل كلّ صناعة يقدمون على أنفسهم كبرا منهم يسمونه الكلو، وكذلك كبار المدينة من غير أهل الصناعات، و تكون الجماعة من الشبان الأعزّاب، و تفاخر تلك الجماعات و يضيف بعضهم بعضا مظهرين لما قدروا عليه من الإمكان، مختلفين في الأطعمة و سواها الاحتفال العظيم.

و لقد ذكر لي أنّ طائفة منهم أضافت أخرى فطبخوا طعامهم بنار الشمع ثمّ أضافتها الأخرى فطبخوا طعامهم بالحريز.

و كان نزولي بأصفهان في زاوية تنسب للشيخ عليّ بن سهل تلميذ الجنيد، و هي معظمة يقصدها أهل تلك الآفاق، و يتبرّكون بزيارتها، و فيها الطعام للوارد والصادر، و بها حمام عجيب مفروش بالرخام، و حيطانة بالقاشاني، و هو موقوف في السبيل لا يلزم أحداً في دخوله شيء.

### ٣. ابن خلدون (٧٣٢ - ٨٠٨ هـ)

حياته :

" هو عبدالرحمان بن محمد بن خلدون الحضرمي ولد في تونس سنة ٧٣٢ هـ / ١٣٣٢ م و نشأ علي حب و تحصيل المعارف " <sup>١١</sup> عالم اجتماعي و مورخ و فيلسوف درس اللغة و الادب و الفقه و الفلسفة و تولي مقاليد الامور بمصر و المغرب و الاندلس .

---

- حنا الفاخوري، ص ١١٠٠٦

حياة ابن خلدون زاخرة بالسفر و العمل السياسي فهو من يجمع بين السياسة و العلم .بقي لنا منه كتاب وحيد و هو " كتاب العبر و ديوان المبتدا و الخبر في ايام العرب و العجم و البربر و من عاصرهم من ذوي السلطان الاكبر " الذي عرف باسم " مقدمة ابن خلدون ". نال هذا الكتاب من المستشرقين بعناية خاصة بما فيه من الافكار و الآراء .« عد " فون كريمير " المستشرق النمساوي ، "ابن خلدون ، مورخاً للحضارة الاسلامية و عدّه "دي بوير" فيلسوفا "<sup>١٢</sup>

ألف ابن خلدون مقدمة في ٣٦ من عمره و هو في مدينة " تلمسان ". كتبه في خمسة شهور و بعد مدة وصل الي القاهرة (عام ٧٨٤ هـ) فهذبّه و نقّحه و زاد فيه ما وقع حتي نهاية القرن الثامن للهجري . من هذه التنقيحات و الفصول الزائدة "خواص دول المماليك ، نشاة التتار و... "

حاز هذا الكتاب بمكانة عالية عند العلماء خاصة علماء الاجتماع بما في الكتاب من الاتجاه العام الي دراسة فلسفة الكتاب الاجتماعية و اليوم تسمي هذه الدراسة بعلم الاجتماع .. ، فجعل ابن خلدون عالماً من علماء البارزين في التاريخ و علم الاجتماع و نظرياته و آراه لا تزال موضع اهتمام الباحثين و المؤرخين و الفلاسفة حتي يومنا هذا .

قبل ان نتطرق الي الكتاب نشير الي رؤيته في العرب ، فهو يذهب الي ان العرب اذا تغلبوا في أوطان ، سرعان ما اشاعوا فيها الفساد و الخراب و اذا نالوا بملك ، فانما يمكنهم بصفة دينية و هم ابعد الامم من سياسة الملوك و الصنایع و... رؤيته هذه حير الباحثين و ناقشوها و قاموا بذكر اسباب مختلفة لها التي لن يسمح لنا المجال ذكرها .

و اما الكتاب :

---

- خفاجب ، محمد عبدالمنعم، ص ٥٣ <sup>12</sup>



فهو يشمل علي مقدمة و ثلاثة كتب :

- المقدمة : في فضل علم التاريخ و مذاهبه و ايلاء الاهتمام بمغالط المؤرخين
- الكتاب الاول : في العمران و ذكر ما فيه من العوارض الذاتية من الملك و السلطان و الكسب و المعاش و الصنائع و العلوم و لذلك من العلل و الاسباب.
- الكتاب الثاني : في اخبار العرب و اجيالهم و دولهم منذ بدء الخلقية الي هذا العهد . و فيه من الإلمام ببعض مَن عاصرهم من الامم المشاهير و دولهم مثل النبط و السريانيين و الفرس و غيرهم .
- الكتاب الثالث في اخبار البربر و مواليهم من زنانة و ما كان بدول المغرب خاصة من الملك و الدول .

علينا ان نشير الي ان " مقدمته " المشهورة هي في حقيقة الامر تسمي " المقدمة و الكتاب الاول " .  
ظهر ابن خلدون و تاليفه هذا الكتاب في هذا العصر الذي تعرف بالانحطاط يثير العجب بما للكتاب و الكاتب من المكانة و الهمية بين سائر الكتب و المؤلفين الأوروبيين . فهذا الكتاب صورة حيّة عن حياة المؤلف و العصر الذي عاش فيه و هو عصر زاخر بالهزات التاريخية العنيفة في مجالي السياسة و الفكر ، و الفوضي التي شهدها العلم و السياسة و الادب .

داعي ابن خلدون في تاليف مقدمته و إشعار المؤرخين بأن التأريخ مجرد سرد الوقائع و الحوادث ، فهو أعطاه شيئاً ما نسميه " القوانين التاريخية " و لم يكتف بسرد الحقايق و الاخبار بل قام بتفهيمة و اعلاله و تبين ما يودي اليه . فيقول في مقدمته: " ان فن التاريخ محتاج الي مآخذ متعددة و معارف متنوعة و حسن نظر و تثبت ، يصلان بصاحبهما الي الحق ... لأنّ الاخبار اذا اعتمد فيها علي مجرد النقل و لم

تحكم اصول العادة و قواعد السياسة و طبيعة العمران و الاحوال في الاجتماع الانساني و ... فربما لم يؤمن فيه من العثور و مزلة القدم .... " و في موضع آخر : " ان صاحب هذا الفن يحتاج الي العلم بقواعد السياسة و طبائع الموجودات و اختلاف الامم و البقاع و الاعصار و ... " عاش ابن خلدون كثير الاضطراب و المغامرة اللذين يشاهدتهما قليل من الناس و هو رجل طموح و الشجاع و ذات الاستقلال الفكري .

" الصفة الرئيسة التي توجد في "المقدمة " هي " الموضوعية " . فابن خلدون يصف الاحداث و يحاول ايجاد القوانين التي تسيرها من غير ان يظهر ميوله و آراءه الخاصة إلا انه يشمّ من وراء هذه الموضوعية رائحة تشاوم قد يكون نتيجة الاخفاق في تحقيق الآمال و قد يكون ايضا من تاثير نظرية القدر المحتوم الذي يسيّر الاحداث و الذي يجعل ان معرفة الاحداث و اسبابها غير كافة للعمل علي تغيير سيرها " <sup>١٣</sup> قضي ابن خلدون حياته في امصار مختلفة و ارجاء العالم حتي بلغ مصر سنة ١٣٨٢م و ألقى رحله فيها حتي نهاية عمره و تولي فيه مناصب التدريس و القضاء الي ان توفي في سنة ٨٠٨ هـ / ١٤٠٦ م .

### نماذج من العبر لابن خلدون :

فن التاريخ

اعلم أن فنّ التاريخ فنّ عزيز ١ المذهب ، جمّ ٢ الفوائد ، شريف الغاية ، إذ هو يوقفنا على أحوال الماضين من الأمم في أخلاقهم ، و الأنبياء في سيرهم ، و الملوك في دولهم و

---

- حنا الفاخوري ، ص ١٠٩ <sup>13</sup>

سياستهم ، حتي تتم فائدة الاقتداء في ذلك لمن يرومه ٣ في أحوال الدين و الدنيا ، فهو محتاج إلي مآخذ متعددة ، و معارف متنوعة ، و حسن نظر ، و تثبت يُفْضِيَان ٤ بصاحبهما إلي الحق ، و يُنْكَبَان ٥ به عن المَزَلَات ٦ و المغالط ، لأن الأخبار إذا اعتمد فيها على مجرد النقل ، و لم تُحَكِّمْ أصول العادة ، و قواعد السياسة ، و طبيعة العمران ، و الأحوال في الاجتماع الإنسانيّ ، و لاقيس الغائب منها بالشاهد ، و الحاضر بالذاهب ، فربّما لم يؤمن فيها من العثور و مَزَلَّةِ القدم ، و الحيد ٧ عن جادة الصدق .

و كثيراً ما وقع للمؤرخين و المفسرين و أئمة النّقل المغالط في الحكايات و الوقائع لاعتمادهم فيها على مُجَرَّد النقل ، غثاً أو ثميناً ، لم يعرضوها على أصولها ، و لا قاسوها بأشباهها ، و لا سَبَرُوهَا ٨ بمعيار الحكمة ، و الوقوف على طبائع الكائنات ، و تحكيم النظر و البصيرة في الأخبار ، فضّلُوا عن الحق ، و تاهوا في بیداء ٩ الوهم و الغلط ، لاسيما في إحصاء الأعداد من الأموال و العساكر ، إذا عرضت في الحكايات ، إذ هي مَظَنَّةُ الكذب ١٠ ، و مطيَّة الهذر ١١ ، و لابد من ردّها إلى الأصول ، و عرضها على القواعد .

---

١.عزيز : صَعَب ، غَزَّ يَعِزُّ عِزًّا و عِزًّا : صَعُبَ حتي لا يُقْوِي عليه .

٢.جَمَّ : جَمَّ يَجُمُّ جَمًّا الشئ كَثُرَ . و الجَمَّ : الكثير .

٣.يرومُهُ : يطلبه .

٤.يفضيان : أَفْضَى يُفْضِي : يوصل . و يفضيان ، يوصلان .

٥.ينكبان : نَكَبَ يُنْكَبُ ، يَنْحِيَان و يَعْدِلَان به .

٦.الزلاّت : مفردة مزّلة : مواضع الزلّ و المزالق . و الانحراف عن الحق و الصواب .

٧.الحيد : الميل و العدول .

٨.سبروها : امتحنوها و اختبروها و جرّبوها و منها المسبار : يُسير به الجُرح أي يُعرف عمقه .

٩.البداء : الصحراء ، التيه .

١٠.مظنة الشيء : موضعه و وجوده .

١١.الهذر : الخطأ و الباطل .

و له أيضا العلوم الأساسية و العلوم الآلية :

اعلم ان العلوم المتعارفة بين أهل العمران على صنفين : علوم مقصودة كالشرعيات ١ من التفسير و الحديث و الفقه و علم الكلام و الطبيعيات و الالهيات من الفلسفة ، و علوم هي آلية وسيلة لهذه العلوم كالعربية و الحساب و غير هما للشرعيات ، و كالمنطق للفلسفة .  
فأما العلوم التي هي مقاصد فلا حرج في توسعة الكلام فيها ، و تفرّيع المسائل ٢ و استكشاف الأدلة و الأنظار ٣ ، فان ذلك يزيد طالبها تمكنا في ملكته ، و ايضاحا لمعانيها المقصودة .

و أما العلوم التي هي آلة لغيرها مثل العربية و المنطق و أمثالها ، فلا ينبغي ان ينظر فيها إلا من حيث هي آلة لذلك الغير فقط ، و لا يوسع فيها الكلام ، و لا تفرّع المسائل ، لأن

ذلك مُخرج لها عن المقصود ، و صار الاشتغال بها لغواً ، مع ما فيه من صعوبة الحصول على ملكتها ، لطولها و كثرة فروعها ، و ربما يكون ذلك عائقاً عن تحصيل العلوم المقصودة بالذات ، لطول وسائلها ، مع أن شأنها أهمّ ، و العمر يقصر عن تحصيل الجميع على هذه الصورة ، فيكون الاشتغال بهذه العلوم الآلية تضييعاً للعمر ، و شغلاً بما لا يعني . و كما فعل المتأخرون في صناعة النحو و صناعة المنطق و أصول الفقه ، لأنهم أو سمعوا دائرة الكلام فيها ، و أكثروا من التفاريع و الاستدلالات بما أخرجها عن كونها آلة ، و صيرها من المقاصد و ربما يقع فيها أنظار لا حاجة بها في العلوم المقصودة في من نوع اللغو ، و هي أيضاً مضرّة بالمُتعلّمين على الإطلاق . لأن المُتعلّمين اهتمامهم بالعلوم المقصودة أكثر من اهتمامهم بوسائلها ، فإذا قطعوا العمر في تحصيل الوسائل فميتي يظفرون بالمقاصد ؟ فلهذا يجب على المُعلّمين لهذه العلوم الآلية أن لا يستبجروا في شأنها ، و ينيهوا المُتعلّم على الغرض منها ، و يقفوا به عنده . فمن نزعت به همته بعد ذلك إلى شيء من التوغل ، فليرق له ما شاء من المراقي صعباً أو سهلاً ، و كل مُيسر لما خُلِقَ له .

---

١. هو علم تثبت به قواعد الإيمان و صحة أقوال الدين في الغيبيات و غيرها بالحجج و البراهين .

٢. تفريع المسائل : بحث فروعها و ذكر أقامها .

٣. جمع نظر : و هو هنا الاستدلال و التفكير و الرأي .

٤. جزء من حديث و أصل الحديث : ( اعملوا فكل ميسر لما خلق له . )

#### ٤. القلقشندى ( ٧٥٦ - ٨٢١ هـ )

أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن علي بن أحمد بن عبد الله الفزارى القلقشندى، ولد بالإسكندرية، و أخذ العلم من مشاهير العلماء كابن الملن. وقد أجازته مرتين: إجازة دينية خاصة، وإجازة دينية عامة بالفتيا والتدريس، واختير سنة ٧٩١هـ ليكون منشئاً في ديوان الإنشاء، وقد أُلّف مقامة في الثناء على رئيس ديوان الإنشاء القاضي علاء الدين بن فضل الله، ثم رأى أن يشرح هذه المقامة الموجزة في كتاب كبير هو ( صبح الأعشى في صناعة الإنشا )، وهو في أربعة عشر مجلداً، وقد اختصره في كتاب صغير سماه ( ضوء الصبح المسفر وجنى الدوح المثمر )، أبرز مؤلفاته الأخرى: ( الغيوث الهوامع )، و ( شرح كتاب الحاوى )، و ( حلية الفضل )، و ( كنه المراد )، و . قلائد الجمان )، و نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب ) و ( مآثر الإنافة في معالم الخلافة )، وله أكثر من مئة رسالة ، توفي في القاهرة سنة ٨٢١هـ - ( ١٤١٨ م ).

#### صبح الأعشى في صناعة الإنشا

لا شك أن كتاب ( صبح الأعشى في صناعة الإنشا ) للقلقشندي، يمثل أكمل دائرة معارف عربية عرفت في هذا العصر من حيث المضمون والمنهج ، و قد نوّه المستشرق كراتشكوفسكي بأهميتها ، و ذكر أن هذا المصنف « يمثل ظاهرة مبررة فريدة في نوعها في مجال الأدب الجغرافي أيضاً، و يختتم بجدارة سلسلة موسوعات عهد المماليك ».

يتألف هذا الكتاب من مقدمة هامة جداً وعشر مقالات، أسهب المؤلف في كتابة المقدمة، فتحدث عن فضل الكتابة، ومدح أفاضل الكتاب، ثم تطرق إلي مدلول الكتابة، و بيان معني الإنشاء، وترجيحه النشر علي الشعر، وذكر آداب الكتابة، وصفات الكتاب، ثم حدثنا عن تاريخ ديوان الإنشاء منذ وجوده حتي عصره.

يقول في مقدمته: « فشرعت في ذلك ... موضحاً بتبيين الأمثلة مع قرب المأخذ و حسن التأليف، متبرعاً بأمور زائدة... لا يسع الكاتب جهلها، منتقلاً من توجيه المقاصد، وتبيين الشواهد، بما يعرف به فرع كل قضية وأصلها، آتياً من معالم الكتابة بكل معني غريب... منبهاً على ما يحتاج إليه الكاتب من الفنون... ذاكراً من أحوال الممالك المكاتبه عن هذه المملكة ما يعرف به قدر كل مملكة و ملكها، مبيناً جهة قاعدتها، التي هي محل الملك شرقاً أو غرباً، أو جنوباً أو شمالاً، معرفاً الطريق الموصل إليها، براً و بحراً، وانقطاعاً و اتصالاً، ذاكراً مع كل قاعدة مشاهير بلدانها، إكمالاً للتعريف، ضابطاً لأسمائها بالحروف كيلا يدخلها التبديل والتحريف..» ( صبح الأعشى، المقدمة ١٠/١ )

### الباب الثالث

في صفاتهم و آدابهم؛ و فيه فصلان

## الفصل الأول في صفاتهم، وهي علي ضربين :

الضرب الأول الصفات الواجبة التي لا يسع أهمالها؛ وهي تسع صفات

الصفة الأولى، الإسلام- ليؤمن فيما يكتبه و يمليه. و يوثق به فيما يذره و يأتيه إذ هو لسان المملكة،  
المرهب للعدو بوقع كلامه، والجاذب للقلوب بلطف خطابه فلا يجوز أن يولي أحد من أهل الكفر؛ إذ  
يكون عيناً للكفار علي المسلمين، و مطلعاً لهم علي خفاياهم فيصلون به إلي ما لا يمكن أستدراكه، وقد  
قال تعالى: ( يأيتها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبائلاً ودّوا ما عنتم قد بدت  
البغضاء من أفواههم و ما تخفي صدورهم أكبر)<sup>١٤</sup> والمراد بالبطانة في الآية من يطلع علي حال المسلمين  
كالا طلاع علي مقدار خزائنها من المال ، وأعداد جيشهم من الخيل والرجال.

الصفة الثانية ، الحرّية- فقد شرطوا في كاتب القاضي أن يكون حرّاً: لما في العبد من النقص، فلا يعتمد  
في كل القضايا، ولا يوثق به في كل الأحوال؛ فكاتب السلطان كذلك بل أولي كما تقدّم.

الصفة الثالثة ، التكليف- كما في كاتب القاضي فلا يعول علي الصبي في الكتابة إذ لا وثوق به ولا  
اعتماد عليه.

الصفة الرابعة العدالة - فلا يجوز أن يكون الكاتب فاسقاً فإنه بمنزلة كبيرة، ورتبة خطيرة، يحكم بها في  
أرواح الناس و أموالهم: لأنّه لو زاد أدني كلمة أو حذف أيسر حرف أو كتم شيئاً قد علمه أو تأوّل لفظاً  
بغير معناه أو حرّفه عن جهته أدّي ذلك إلي ضرر من لا يستوجب الضرر، ونفع من يجب . الإضرار به،  
وكان قد موّه علي الملك حتي مدح المذموم وذمّ الممدوح.

فمقي لم يكن له دين يحجزه عن ارتكاب المآثم ويزعه عن احتقاب

---

<sup>٢</sup>. سورال آل عمران/ ١٨.



المحارم كان الضرر به أكثر من الانتفاع، وأثر فعله من الأضرار ما لم تؤثره السيوف ، والله القائل!:

ولضربــــــــــــــــة من كاتب بينانه أمضي وأقطع من رقيق حسام

قوم إذا عزموا عداوة حاسد سفكوا الــــــــــــــــدما بــــــــــــــــأسنة الأقلام

وأيضاً فإنه لا يقبل قول الفاسق فتضييع به المصالح، وربما حمله الفسق وعدم الاكتراث بأمور الدين علي وهن يدخله علي الدين بقلمه، أو ضرب يجلبه بلسانه.

وأيضاً فالكتابة ولاية شرعية والفاسق لا تصح توليته شيئاً من أمور المسلمين؛

الصفة الخامسة ف البلاغة – بحيث يكون منها بأعلي رتبة و أسني منزلة؛ فإنه لسان السلطان الذي ينطق به، ويده التي بها يكتب. وربّ كاتب بليغ أصاب الغرض في كتابته فأعني عن الكتاب، وأعمل القلم فكفاه إعمال البيض القواضب، وإذا كان جيد الفطنة صائب الرأي حسن الألفاظ، تتأني له المعاني الجزلة فيجلوها في الألفاظ السهلة، ويختصر حيث يكون الاختصار، و يطيل حيث لا يجد عن الإطالة بدءاً ويتهدد فيملأ القلوب روعة، ويشكر فيلقي علي النفوس مسرة؛ و إن كتب إلي ملك كبير وذو رتبة خطير عظم مملكة سلطانه و فخمها في معارض كلامه من غير أن يوجد أن ذلك قصده.

الصفة السادسة وفور العقل، وجزالة الرأي- فإن العقل اس الفضائل وأصل المناقب؛ و من لا عقل له لا انتفاع به، وكلام المرء ورأيه علي قدر عقله؛ فإذا كان تام العقل كامل الرأي، وضع الأشياء في مكاتباته و مخاطباته في مواضعها، وأتي بالكلام من وجهه، وخاطب كلّ أحد عن سلطانه بما يقتضيه الحال التي يكون عليها ، فيشتد ما كانت الشدة نافعة، ويلين حين يكون إلي الين محتاجاً، ويوبخ من لا يقتضي فعله أكثر من التوبيخ، ويذم من تعدّي إلي ما يستوجب الذم، و يأتي بالمكاتبات التي يقتضيها اختلاف الأحوال واقعة مواقعها صائبة مراميها.

الصفة السابعة العلم بمواد الأحكام الشرعية، والفنون الأدبية، وغيرها مما يأتي بيانه - إذ الجاهل لا تميز له بين الحق والباطل، ولا معرفة ترشده إلى الطرق المعتبرة في الكتابة؛ و من سلك طريقاً بغير دليل ضلّ، أو تمسك بغير أصل زلّ.

الصفة الثامنة ، قوة العزم وعلوّ الهمة وشرف النفس - فإنه يكاتب الملوك عن ملكه، وكل كاتب يجذبه طبعه وجبلته وخيمه في الكتابة إلى ما يميل إليه؛ ومكاتبة الملوك أحوج شيء إلى التفخيم والتعظيم، وذكر التهاويل الرائعة والأشياء المرغبة، فكلما كان الكاتب أقوى نفساً وأشدّ عزماً وأعلى همّة، كان في ذلك أمضي وعليه أقدر، ومهما نقص في ذلك نقص من كتابته

الصفة التاسعة، الكفاية لما يتولاه - لأن العاجز يدخل الضرر علي المملكة ويوجب الوهن في أمر المسلمين؛ و ربما عاد عليهم عجزه بالوبال، أو أدّى بهم ضعفه إلى الاضطراب والاختلال.

#### المقصد الثاني

##### في وجه احتياج الكتاب إلى اللغة

لامرية في أن اللغة في رأس مال الكاتب، واس كلامه، وكثر إنفاقه؛ من حيث إن الألفاظ قوالب للمعاني التي يقع التصرف فيها بالكتابة؛ وحينئذ يحتاج إلى طول الباع فيها، وسعة الخطو، ومعرفة بسائطهما: من الأسماء والأفعال والحروف، والتصرف في وجوه دلالتها الظاهرة والخفية: ليقتر بذلك علي استعمالها في محالّها، و وضعها في مواضعها اللائقة بها، ويجد السبيل إلى التوسّع في العبارة عن الصّور القائمة في نفسه فيتّسع عليه نطاق النطق، و ينفسح له المجال في العبارة، و ينفّث له باب الأوصاف فيما يحتاج إلى وصفه، وتدعو الضرورة إلى نعمته ، فيستظهر علي ما ينشيه ، ويحيط علماً بما يذره و يأتيه؛ إذ المعاني وإن كانت كامنة في نفس المعبر عنها فإنما يقوي علي إبرازها و إبانيتها من توفّر حظّه من الألفاظ، و اقتداره علي

التصرف فيها: ليأمن تداخلها و تكريرها المهجنين للمعاني - وناهيك أن ابن قتيبة<sup>١٥</sup> لم يضمن كتابه « أدب الكاتب » غير اللغة إلا النزر اليسير من المهجاء، وأبا جعفر النحاس ضمن كتابه « صناعة الكتاب » جزءاً وافراً من اللغة ، وأبا الفتح كشاجم<sup>١٦</sup> لم يزد في كتابه « كثر الكتاب » علي ذكر الألفاظ وصورة تركيبها.

## الباب الأول

في فضل الكتابة، ومدح فضلاء أهلها، وذم حقاهم؛

و فيه فصلان

### الفصل الأول : في فضل الكتابة

أعظم شاهد لجليل قدرها، وأقوي دليل علي رفعة شأنها، أن الله تعالى نسب تعليمها إلي نفسه، و اعتدّه من وافر كرمه و إفضاله فقال عز اسمه: ( اقرا و ربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم)<sup>١٧</sup> مع ما يروي أن هذه الآية والتي قبلها مفتتح الوحي، وأوّل التزئيل علي أشرف نبي، وأكرم مرسل و في ذلك من الاهتمام بشأنها و رفعة محلها ما لاختفاء فيه.

ثم بين شرفها بأن وصف بها الحفظة الكرام من ملائكته فقال جلّت قدرته: ( و إن عليكم لحافظين كراماً كاتبين)<sup>١٨</sup> ولا أعلي رتبة و أبذخ شرفاً مما وصف الله تعالى به ملائكته و نعت به حفظته؛ ثم زاد ذلك

<sup>١</sup> . هو عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري: من أئمة الأدب و من المصنفين المكثرين. سكن الكوفة وتوفي ببغداد سنة ٢٧٦ هـ. من أشهر كتبه : تأويل مختلف الحديث- أدب الكاتب. عيون الأخبار... ( الأعلام ١٣٧/٤ ).

<sup>٢</sup> . هو محمد بن الحسين المعروف بكشاجم: شاعر أديب من كتاب الإنشاء.

<sup>٣</sup> . سورة العلق/٤.

<sup>٤</sup> . سورة الإنفطار/ ١١.

تأكيداً ووفر محله إجلالا و تعظيماً بأن أقسم بالقلم الذي هو آلة الكتابة و ما يسطر به فقال تقدّست  
عظمته: ( ن والقلم و ما يسطرون ما أنت بنعمة ربّك بمجنون)<sup>١٩</sup>.

والإقسام لا يقع منه سبحانه إلا بشريف ما أبدع، وكريم ما اخترع: كالشمس والقمر والنجوم و نحوها  
إلى غير ذلك من الآيات الدالة على شرفها ورفعة قدرها.

ثم كان نتيجة تفضيلها، وأثرة تعظيمها و تبجيلها، أن الشارع ندب إلى مقصدها الأسنى، وحثّ على  
مطلبها الأغني، فقال: قيدوا العلم بالكتاب، مشيراً إلى الغرض المطلوب منها، وغايتها المجتناة من ثمرتها؛ و  
ذلك أن كل ذي صنعة لا بدّ له في معاناتها من مادّة جسمية تظهر فيها الصورة، ودلة تؤدّي إلى  
تصويرها، و غرض ينقطع الفعل عنده، وغاية تستثمر من صنعته.

والكتابة إحدى الصنائع فلا بدّ فيها من الأمور الأربعة.

فمادّتها، الألفاظ التي تخيلها الكاتب في أوهامه، وتصوّر من ضم بعضها إلى بعض صورة باطنة في نفسه  
بالقوة؛ ولاخط الذي يخطه القلم، ويقيد به تلك الصور، و تصوير بعد أن كانت صورة معقولة باطنة  
صورة محسوسة ظاهرة. وألّتها القلم. وغرضها الذي ينقطع الفعل عنده تقييد الألفاظ بالرسوم الخطية،  
فتكمل فوّة النطق و تحصل فائدة للأبعد كما تحصل للأقرب، وتحفظ صورته، و يؤمن عليه من التغير  
والتبدّل والضياع. وغايتها الشيء المستثمر منها، وهي انتظام جمهور معاون<sup>٢٠</sup> والمرافق العظيمة، العائدة  
في أحوال الخاصة والعامة بالفائدة الجسيمة في أمور الدين والدنيا.

---

<sup>٢٠</sup>. سورة القلم/١.  
<sup>١٩</sup>. جمع معونة: أى مجموع المساعدات.

ولما كان التقييد بالكتابة هو المطلوب، وقع الحُضُّ من الشارع عليه ، والحث علي الاعتناء به تنبيهاً علي  
أن الكتابة من تمام الكمال، من حيث إن العمر قصير والوقائع متسعة ؛ ماذا عسي أن يحفظه الإنسان بقلبه  
أو يحصله في ذهنه.